

المقالة الأدبية

ووطيفتها في العصر الحديث

تأليف

د. عطاء كفافي

هجر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقالة الأدبية
ووظيفتها في العصر الحديث

د. عطاء كفاني

المقالة الأدبية

ووظيفتها في العصر الحديث

هجر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م

المكتب: ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - حيزة

المطبعة: ٢ ش عبد الفتاح الطويل - أرض اللواء

ت ٤٧٧٥١ - ص. ب ٦٣ إمبابة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يلحظ الباحث في حياتنا الأدبية أن المقالة تشغل مساحة كبيرة في خريطة النتاج الأدبي الحديث؛ فهي الشكل المحبب لدى الأدباء على مختلف نشاطاتهم الأدبية، يقدمون من خلالها تصوراتهم وأفكارهم، ويعالجون بواسطتها مشكلات الحياة وقضايا الأحياء.

وقد نبغ من أدبائنا عددٌ كبير من كُتّاب المقالة بمواهبهم القلمية، وتمرسهم في كتابتها زمنًا طويلًا حتى أسلست لهم قيادها، وأصبحوا أعلامًا فيها. كما أصبحت المقالة عاملاً مهماً من عوامل التطور الأدبي والفكري في عصرنا الحديث.

إن المقالة بمجالها من المرونة، ومن حرية لكتابها تستطيع أن تروود آفاقاً جديدة قبل غيرها من فنون الأدب الأخرى في دعوة إلى فكرة، أو إشارة إلى وجهة، أو تنبيه لظاهرة، أو عرض لقضية من القضايا أو مشكلة من المشكلات، فلا عجب إذن أن يؤثرها الأدباء والنقاد على السواء؛ فهي اللون الذي يناسب روح العصر وذوقه.

وكان هذا دافعاً لكتابة هذا البحث عن المقالة الأدبية ووظيفتها في العصر الحديث. وسنحاول في القسم الأول منه دراسة المقالة بوصفها فناً من فنون الأدب، ثم نعمد في القسم الثاني إلى بيان وظيفتها في العصر الحديث بإبراز معالم تلك الوظيفة، وإيراد مثالٍ تطبيقي لوظيفتها في قضية واحدة هي قضية فلسطين خلال عام ١٩٤٨ بصورة مفصلة.

وأرجو أن يجد القارئ لهذا البحث صورة واضحة عن المقالة الأدبية. والله الموفق.

د. عطاء كفافى

القسم الأول المقالة الأدبية

خصائص المقالة الأدبية

ليس من السهل تعريف المقالة الأدبية تعريفاً دقيقاً؛ لأنها مختلطة بألوان من المقالات غير الأدبية بشكل أو بآخر. ومع ذلك فهناك عدة محاولات لتعريفها أو التعريف بها نسوق بعضها فيما يلي: -

١ - عرّف الدكتور محمد يوسف نجم المقالة الأدبية تعريفاً موجزاً، وكأنه في هذا التعريف يُقصر كلامه على المقالة الذاتية فيرى أنها «قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع، تُكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق. وشرطها الأول أن تكون تعبيراً صادقاً عن شخصية الكاتب»^(١)

٢ - وعرّفها سيد قطب تعريفاً اقتصر فيه على جانبى الفكرة والموضوع في المقالة، ومُبعداً عن عنصر الانفعال الوجداني فيها، فذهب إلى أنها «فكرة قبل كل شيء وموضوع. فكرة واعية، وموضوع معين يحتوى قضية يُراد بحثها، قضية تُجمع عناصرها وتُرتب بحيث تؤدي إلى نتيجة معينة، وغاية مرسومة من أول الأمر. وليس الانفعال الوجداني هو غايتها ولكنه الاقتناع الفكري»^(٢)

٣ - ورأى الدكتور زكى نجيب محمود في التعريف بالمقالة الأدبية أنها يجب أن تصدر عن قلق يحسه الأديب مما يحيط به من صور الحياة وأوضاع المجتمع. على شرط أن يجيء السخط في نغمة هادئة خفيفة، هي أقرب إلى الأنين الخافت منها إلى العويل الصارخ. وهي سخط مصطبغ بفكاهة لطيفة، وليس سخطاً مما يدفع الساخط إلى تحطيم الأثاث وتمزيق الثياب. ويرى في كاتب المقالة أن يكون ناقماً، وأن تكون نغمته خفيفة يشيع فيها لون باهت من التفكه الجميل. كما يُشترط في المقالة أن تكون على غير نسق من المنطق، أن تكون أقرب إلى قطعة

(١) د. محمد يوسف نجم: فن المقالة، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٥٧، ص ٩٥

(٢) سيد قطب: النقد الأدبي: أصوله ومناهجه، بيروت، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٦٦،

ط رابعة، ص ٩٢

مشعثة من الأحراش والوحشية منها إلى الحديقة المنظمة؛ فلا نقط فيها ولا تبويب ولا تنظيم.

ويقتبس تعريف جونسون - صاحب المكانة الرفيعة في الأدب الإنجليزي - للمقالة: بأنها نزوة عقلية لا ينبغي أن يكون لها ضابط من نظام، هي قطعة لا تجرى على نسق معلوم، ولم يتم هضمها في نفس كاتبها. وليس الإنشاء المنظم من المقالة الأدبية في شيء^(٣)

٤ - تناول عباس محمود العقاد المقالة في كتاباته أكثر من مرة فناقش التعريف السابق للدكتور زكي نجيب محمود، وأوضح أن هذا التعريف للمقالة يصدق على نوع من المقالة يزداد شيوعاً بين الغربيين كلما شاعت الصحافة وشاعت معها أساليب الكتابة العاجلة. ولكنه لا يحصر جميع المقالات الأدبية، ولا يصدق على جميع الفصول التي تُكتب في حيز المقالة المستقلة؛ فالكلمات التي تُطلق على المقالة في اللغات الأوربية يوشك أن تفيد كلها معنى المحاولة والمعالجة فكلمة Essay وكلمة Sketch وكلمة Treatise بل كلمة Study وهي تترجم أحيانا بمعنى الدراسة لا يعدو أن يكون القصد منها في بداية وضعها أن تفيد معنى المحاولة التي يعوزها الصقل والإنجاز. وكلها مستمدة من أساليب معامل النحت والتصوير، يريدون بها الرسم الذي يخطط الصورة قبل تلوينها، أو النموذج الذي يُصب التمثال على مثاله، وينقلونها إلى الموضوعات الأدبية على سبيل الاعتذار لا على سبيل الاشتراط، كأنهم يتقنون نقد الناقد بهذه التسمية، فلا يحاسبهم على كتابتهم بحساب العمل المتمم الذي استوفى نصيبه من الإتقان. وكلمة Article وهي أبعد قليلاً من الغرض تفيد معنى الفاصلة أو الجزء. ويقابلها عندنا (الفصل) الذي يستقل بموضوعه، ولا يُشترط فيه أن يكون فصلاً في كتاب مطول تتممه فصول.

وانتهى عباس العقاد إلى أن هذه المعاني لا تستوعب أغراض المقالات كلها في الكتابة الأوربية أو في الكتابة العربية؛ فمقالات باكون وماكولي وأرنولد وسان بيغ ليست كلها من هذا القبيل، بل مقالات وليام هازليت نفسه على

(٣) انظر د. زكي نجيب محمود: جنة العبيط، بيروت، دار الشروق، ١٩٨٢، ط ثانية، ص ٨-١١

إسهامه في أدب المقالة كما يعرفها الدكتور زكي نجيب لا تجرى كلها على هذا النسق، وفيها ما هو أشبه بالبحوث والرسائل في حيز صغير وأن البحث لا يُشترط أن يكون كتاباً ضخماً أو كتاباً صغيراً في عدد من الصفحات، فإذا جاز أن يتم البحث في حيز مقالة فليس ما يمنع انتظامه في عداد المقالات^(٤) فعباس العقاد إذن وسَّع في مفهومه للمقالة حتى شملت البحث، مخالفاً في ذلك ما ذهب إليه الدكتور زكي نجيب الذي قصر المقالة على نوع خاص عرفناه في الفقرة السابقة. ثم قرر العقاد أن المقالة «ينبغي أن تكون مشروع كتاب في موضوعها لمن يتسع وقته للإجمال ولا يتسع للتفصيل؛ فكل مقالة في موضوع فهي كتاب صغير يشتمل على النواة التي تنبت منها الشجرة لمن شاء الانتظار»^(٥)

وفي مجال حديث عباس العقاد عن فرنسيس باكون Francis Bacon الأديب الإنجليزي أشار إلى بعض شروط المقالة فقال «إنها ينبغي أن تُكتب على نمط المناجاة والأسمار، وأحاديث الطريق بين الكاتب وقرائه، وأن يكون فيها لون من ألوان الثثرة والإفضاء بالتجارب الخاصة والأذواق الشخصية»^(٦).

ونلاحظ أن عباس العقاد في إشارته الأخيرة يتفق مع تصور الدكتور زكي نجيب للمقالة، ولكن العقاد عاد فأكد مفهومه السابق للمقالة الذي اتسم بالسعة فقال: «وليس من اللازم أن تتوافى المقالات جميعاً على السنة الشائعة في عُرف النقاد والقراء؛ ففي غير النمط الشائع مجال للخصوصيات المنفردة على حسب القرائح والطبائع والموضوعات»^(٧)

٥ - وحدّد عمر الدسوقي أبعاد المقالة الأدبية في مجال حديثه عن أديب إسحاق. وعمر الدسوقي في تحديده هذا مَعْنِيٌّ بتحقيق عنصر التنسيق والتنظيم في المقالة مخالفاً الدكتور زكي نجيب فيما ذهب إليه من عدم التنسيق والتنظيم في

(٤) انظر عباس العقاد: مقالة بعنوان (أدب المقالة) في مجلة الرسالة، العدد ٧٨٧ بتاريخ ٢ من أغسطس ١٩٤٨، ص ٨٥٧، ٨٥٨

(٥) عباس العقاد: يسألونك، لبنان، دار الكتاب العربي، ١٩٦٨، ص ٦، ٧

(٦) عباس العقاد: فرنسيس باكون، المجلد التاسع عشر من المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد، بيروت، دار الكاتب اللبناني، ١٩٨١، ص ٣٥٠

(٧) المصدر السابق، ص ٣٥٣

المقالة؛ فيرى الدسوقي أن المقالة وإن كانت ذاتية تعبر عن رأى الكاتب في موضوع من الموضوعات إلا أنها في أشد الحاجة إلى التنسيق، فإنه لا يكفي أن يكون هناك خاطر، بل لابد من ملاحظة النظام في كيفية إيضاحه، فإنه لا جلاء بدون تنسيق.

وقبل الكتابة لابد من وضع رسم ولو رؤوس أقلام، فإنه إذا لم يوضع الرسم يرتبك الذكي ولا يعرف كيف يبتدىء، وكذلك يدخل في تفاصيل مملة، ويضيع المسألة المهمة، ويصير مظلماً كلما اجتهد في الإيضاح. ومن أين له أن قارئه يصبرون إلى أن يعود ليهتدى سبيله؟. وفي الكتابة القصيرة لا يستغنى البتة عن هذا الرسم، ولكن العادة تجعله مصوراً في ذهن على الفور. وكيف كان ففي التنسيق ثلاثة أمور ضرورية: وحدة الموضوع، وتلاحم الأجزاء، واستقلالها التدريجي^(٨)

وفي مجال آخر يبين عمر الدسوقي شروطاً للمقالة مبرزا من بينها عنصرى الفكر والمنطق وضرورة تحققهما، إلى جانب توافر عنصر التنسيق السابق، فعزا إلى النقاد أنهم رأوا أن كاتب المقالة ملزم بالتفكير فيما يريد أن يكتب قبل أن يتناول القلم. ثم السير في موضوعه سيراً منطقياً متجنباً الفضول، ومركزاً فكره في النقاط الرئيسة، على أن يكون لموضوعه وحدة تربط بين أجزائه، وأن يكون واضحاً في تعبيره، منتخِباً لكلماته، ولأسلوبه طلاوة، وعليه جمال. فضلاً عن تنسيق الأفكار؛ فالأفكار غير المنسقة تدعو إلى اضطراب الكاتب في كتابته. وعدم فهم القارئ لما يكتب.

ويتهى عمر الدسوقي إلى أن هذه الشروط ليست هي شروط الإنشاء المدرسى. وشتان بين هذا وبين المقالة الأدبية؛ فإن الفكرة التى يُراد التعبير عنها سواء كانت في نفس طالب مبتدىء أو كاتب نابغ محتاجة إلى الوضوح وإلى التمهيد، ثم عرضها عرضاً جيداً منطقياً يفهمه القارئ بيسر، لا أن تكون مشبعة غامضة تسير على غير اتساق ونظام، فإن ذلك قد يؤدي إلى عدم فهمها،

(٨) انظر عمر الدسوقي: نشأة النثر الحديث وتطوره، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٢، ص ٨١.

فضلا عن أنه لا يتفق مع البلاغة في شيء^(٩)

* * *

وهذه التعريفات للمقالة الأدبية أو التعريفات بها - على فائدتها وأهميتها في كشف جوانب من المقالة الأدبية - يُلاحظ عليها أنها تناولت المقالة من وجهة نظر معينة انتهت بصاحبها إلى ذكر بعض الجوانب في خصائص المقالة وإغفال الجوانب الأخرى فيها، أو إيراد تعريفات لها مختصرة، مما يتطلب تحديداً لخصائصها، وبياناً لعناصرها بصورة مفصلة. وهذا ما سنحاوله في الفقرات التالية: -

أولاً: من خصائص المقالة الأدبية الإيجاز في كتابتها، وتجنب الإطالة، والبُعد عن التوغل في البحث عن الظواهر، وعرض التفاصيل، وإيراد الاستقراءات الدقيقة لجزئيات الموضوع وترتيبها للوصول بها إلى نتائجها كما هو الشأن في تأليف الكتب وكتابة المباحث العلمية.^(١٠)

ثانياً: ينبغي أن يشعر القارئ نحو المقالة وكتابتها أنه تجاه حديث متع لحدث لبق يستهويه بحُسن عرضه، وليس أمام واعظ يعظه ويوجهه؛ فالمهم في كتابة المقالة هو طريقة كتابتها في عرض ما يتأمله أو يشعر به ويحسه؛ فكتابتها للمقالة من نوع التعبير الوجداني عما يعرض له من مشاهد الحياة ومواقف الأحياء.

ثالثاً: التعبير الوجداني في المقالة الأدبية ليس معناه حصر موضوع المقالة في الكاتب نفسه، ولكن المراد أن ما يعرضه الكاتب في المقالة إنما يعرضه من خلال رؤيته الخاصة وطابعه المميز عن سواه من الكُتّاب.

ومن التجارب الفنية في المقالة الأدبية ما هو ذاتي محض، ومنها ما يتجاوز حدود الذاتية الخاصة بالكاتب إلى آفاق عامة: إنسانية أو اجتماعية أو دينية أو وطنية

(٩) انظر عمر الدسوقي: في الأدب الحديث، الجزء الأول، القاهرة، دار الفكر العربى ١٩٦٤، ط السادسة، ص ٤٠٨، ٤٠٩.

(١٠) كانت مقالات مونتاني - وهو أول من كتب المقالة الأدبية في الغرب وأبرز كُتّابها - يتراوح طولها بين عشر صفحات وأربعين صفحة من القطع المتوسطة تقريبا. انظر أحمد أمين وزكى نجيب محمود في قصة الأدب في العالم، الجزء الثانى، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٥، ص

ينفعل بها الكاتب انفعالاً صادقاً لا تزيف فيه ولا تقليد، كما ينفعل بها الشاعر في شعره والقاص في قصصه.

والصدق الفني في التجربة التي يكتب عنها الكاتب لا يستلزم أن يعانيتها بنفسه، بل يكفي أن يتمثلها، ويكون شعوره بها قويا، وأن يتوفر له من الحس المرهف والمقدرة الفنية ما يمكنه من تصويرها تصويراً حياً مؤثراً.

رابعاً: لكاتب المقالة الأدبية إذن الحرية في أن يكتب ما يشاء؛ فأمامه مصادر إلهام كثيرة: الحوادث اليومية، والمشكلات البيئية، وهموم الإنسان وقضاياها التي تشغله، وغيرها. كل هذا معروض لديه ليستخلص منه ما يريد من المعلومات والدروس ويعكس انطباعه بها، ويؤدي رأيه الخاص فيها.

خامساً: ينبغي أن تكون معالجة الموضوعات في المقالة الأدبية في جو من الطلاوة، وفي أسلوب حرٍّ من أغلال الصنعة، والتنزّه عن الابتذال، وفي عبارة بليغة، وعرض سوى شائق يجمع بين دقة الملاحظة، وحرارة الفكرة، وخفة الروح.

ولكى يكون لكاتب المقالة الأدبية التأثير القوي في نفس القارئ ينبغي أن يجعل كلماته وعباراته والخواطر التي تعرض له موجهة لإبراز الفكرة الأساسية وتوضيحها، والبعد عن كل ما يعوق ذلك الإبراز وهذا التوضيح.

سادساً: من خصائص المقالة الذاتية الطرافة في فكرتها وفي تناولها، وأنها تُعبّر عما يجول في نفس الكاتب، وما يشعر به إزاء مجتمعه، وحيال مَنْ حوله؛ فهي محاولة تصور إحساس الكاتب ولا تسوقه في قالب تقريرى، وتنقل انفعاله في إيقاع حيٍّ يقظ، ولا تأتى به جامداً خامداً.

سابعاً: عنصر العاطفة في العمل الأدبي عنصر أساسي، ومن ثم فهو يحتاج في أدائه إلى الخيال الذي هو لغة العاطفة، وبعثها في نفس القارئ. ولا يمنع الإمتاع العاطفي في المقالة الأدبية من الومضات الفكرية أو اللفتات الذهنية. «فالفن إذا لم يرفذه الفكر كان مجرد أحلام ساذجة، وأخيلة تافهة شاردة لا تتصل بالنفس ولا بالحياة.... والفكر هو طاقة الفن الكبرى، وهو مصدر إلهامه الأعظم. والفكر لا يكون كذلك إلا حين يصبح جزءاً من الفنان، وعنصرًا من

وجوده الفنى . وحينذاك يصبح توجيه الفكر للفن صادراً من ذات الفنان لا من عالم خارج عن ذاته، فأى خطر على الفن من هذا إذن؟»^(١١)

فالفكر يشد أزر العاطفة، وهى توقظه وتنشطه، وهما يبعثان الإرادة. ويندر أن توجد فكرة جيدة لا تثير عاطفة ولا تحرك إرادة؛ فليس هناك تضاد إذن بين الفكر والعاطفة، بل العكس هو الصحيح؛ لأنهما يتآزران فى العمل الأدبى والفنى .

فالمقالة الأدبية الجيدة إذن تنم عن تفكير ناضج وعن عاطفة جياشة، مجلوة بأسلوب أدبى متقن؛ لأنه ليس معنى وجدانية التجربة الفنية لكاتب المقالة الأدبية أن تكون بعيدة عن فكره؛ فهو حين يُصوّر تجربته ويُعبّر عن ذاته يُعبّر فى الوقت نفسه عن موقفه تجاه الحادث الذى أثر فيه أو المشهد الذى انفعَلَ به . وهو بهذا التعبير يقدم لنا آراءه حتى ولو لم يقصد إلى ذلك عمداً ثم إن الكاتب تستغرقه عملية الإبداع الأدبى، فإذا جاءت مرحلة التعبير أشرف الفكر على تنسيق خواطره، وإحكام أدائها كيلا تختل أو تتعارض. وبقدر ما يتاح للكاتب من خصب الفكر وعمق النظرة إلى الإنسان والكون تتجاوز مقالته حدود مكانه وزمانه، فيؤثر فى من لا تربطهم به رابطة القطر أو العصر، لكن الأفكار لا ينبغي أن تُساق سوقاً تقريرياً، بل تأتى عبر وجدان الكاتب «وكلما وجدت الكاتب أدنى إلى أن يحدثك عن تاريخ نفسه فيما يكتب، إن رأيتَه يرسل الخواطر إرسالاً هيناً فيستشف منها ما وراءها من حالته النفسية فاعلم أنه قد أجاد، أما إن وجدته يعالج موضوعاً لا يتصل بمكنون نفسه، ويُعنى بتنظيمه وثبوته كما يُنظم البحث العلمى فاعلم أنه عن الجودة بعيد»^(١٢)

ثامناً: لنا الآن أن نتساءل هل للمقالة نهج معين؟ فإن القالب الأدبى لا يستغنى عن النهج، ولكنه يختلف باختلاف القوالب؛ ففى بعضها نجده بارزاً لا تخطئه العين يتناسب تناسباً مطرداً مع المقدرة الفكرية فى العمل الأدبى، فكلما

(١١) حسين مرّوة: مع القافلة، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٢، ص ٨٩

(١٢) د. زكى نجيب محمود: فنون الأدب، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٩ ط ثانية، ص

زادت القيمة الفكرية في العمل الأدبي برز النهج، ويتوارى إذا كان العمل يغلب عليه الاتجاه العاطفي^(١٣)

وإذا طبقنا ذلك على المقالة الأدبية وجدنا أن النهج غير بارز فيها ولا نكاد نلمحه في الغالب، فليس من السهل إذن أن نحدد للمقالة الأدبية نهجا معينا.

تاسعا: مما يساعدنا في تحديد خصائص المقالة الأدبية كاتب المقالة نفسه، فإن كان أدبيا له قلمه المميز في عالم الأدب ساعدنا ذلك على تحديد نوع المقالة. فمثلا لو وجدنا مقالة تناولت قضية إسلامية كتبها عباس محمود العقاد، أو مقالة تعرضت لتجربة ذاتية لإبراهيم عبد القادر المازني، أو مقالة لطله حسين عن ظاهرة أدبية، أو مقالة لأحمد حسن الزيات عن مشكلة اجتماعية لم نجد صعوبة في عدّ هذه المقالات مقالات أدبية.

عاشرا: قد نرى مقالات فيها بعض خصائص المقالة الأدبية، أو بعض صفات المقالة العلمية، أو بعض مظاهر المقالة الصحفية فكيف نحدد نوعها؟ يمكننا أن نقول إن العبرة في هذا بالسّمات الغالبة على المقالة؛ فليست هناك حدود فاصلة بين أنواع المقالات؛ لأن هذه هي طبيعة المقالة إذ ليست لها تلك القوالب المحدودة الصارمة.

وفي هذا المعنى يقول الدكتور زكي نجيب محمود: «ولعل عُسر المقالة ناشئ من أنها ليس لها حدود مرسومة يحفظها المتدّى فينسج على منوالها كما يفعل في القصة أو القصيدة»^(١٤) وقريب مما ذهبنا إليه حديث الدكتور محمد عوض محمد في تعريفه بالمقالة الأدبية إذ يقول:

«هذا التعريف بفن المقالة الأدبية ليس من الضروري أن ينطبق تمام الانطباق على كل مقالة. ولكنه يتيح لنا مقياسا نقيس به المقالة الأدبية في صورتها الكاملة. ومن الجائز أن تكون هناك مقالات أدبية دون مرتبة الكمال في بعض النواحي، وتعوض هذا النقص في نواح أخرى.... إن كل نتاج فني لا يمكن تقديره قدره بأن نطبق عليه قواعد أو أوصافا أو شروطا، بل لابد في النهاية من تحكيم

(١٣) انظر د. محمد كامل جمعة: الأسلوب، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٣ ط ثانية، ص ٤١

(١٤) د. زكي نجيب محمود: جنة العبيط، ص ١٥

الدوق. وهذه التعريفات والشروط قيمتها أنها تُنبه ذهن القارئ، وتُعدّه لتحكيم ذوقه فيما يقرأ»^(١٥)

وأخيراً نُجمل العناصر الرئيسة للمقالة الأدبية فيما يلي: -

- ١ - صدق إحساس الكاتب.
 - ٢ - الأصالة بمعنى التعبير عن الذات.
 - ٣ - وجهة نظر خليقة بالبروز.
 - ٤ - جمال التعبير.
 - ٥ - قوة الإثارة أو الإمتاع.
- وهذه العناصر لا تجتمع بنسب واحدة عند جميع كُتّاب المقالة الأدبية؛ فهم - بطبيعة الحال - مختلفون فيها.

(١٥) د. محمد عوض محمد: محاضرات عن فن المقالة الأدبية، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٩، ص ٦٥، ٦٦.

صفات كاتب المقالة الأدبية

بعد أن وقفنا على خصائص المقالة الأدبية نستكمل هذا الجانب بمزيد من التوضيح عن صفات كاتب المقالة الأدبية. وقد عرفنا أنه صاحب قلم يُعبر عن الحياة ومظاهرها المختلفة، ويتناولها بأسلوبه الخاص؛ فهو لا ينظر إليها بنظرة المؤرخ أو الفيلسوف أو العالم أو القاص أو الشاعر ولكن في فنه شيء من هذا كله. وليس يعنيه أن يكشف نظريات جديدة، ولكن طريقته أن يراقب ويرصد ويُفسر الأشياء كما تبدو له، ثم يدع خياله يمرح في جمالها ومغزاها.

والغاية من هذا كله أنه يحس إحساساً عميقاً بصفات الأشياء وسحرها، ويريد أن يلقي عليها نوراً واضحاً رقيقاً لعله يستطيع بذلك أن يزيد الناس حبا في الحياة، وأن يُعدهم لما اشتملت عليه من المفاجآت المفرحة أو المحزنة.

فالنواة الأساسية للمقالة الأدبية فكرة أو خاطرة تخطر للكاتب، وقد استوحى هذه الفكرة أو الخاطرة من قراءاته، أو من تجاربه الخاصة، أو من ابتكاراته، أو من شيء شاهده أو توهمه. وهذه الفكرة أو الخاطرة يُحس بها الكاتب إحساساً يأخذ في التصور والتشكل في نفسه حتى يخرج على الورق كائناً متكاملًا هو المقالة الأدبية التي يستطيع بها الكاتب أن ينقل إلى أحاسيس الناس وعقولهم الصورة التي رسمها بدقة وقوة ووضوح، بحيث لا يتسنى إدراكها - في جمالها وتأثيرها - بوسيلة أخرى من وسائل التعبير الأدبي.^(١٦)

والعلاقة بين كاتب المقالة الأدبية الجيدة وقارئه هي علاقة ودّ وحب وثقة «بحيث يجد القارئ نفسه إلى جانب صديق يسامره، لا أمام معلم يعنفه. نريد من كاتب المقالة الأدبية أن يكون لقارئه زميلاً مخلصاً يحدثه عن تجاربه ووجهة نظره، لا أن يقف منه موقف الواعظ فوق منبره يميل صلفاً وتبها بورعه وتقواه، أو موقف المؤدب يصطنع الوقار حين يصب في أذن سامعه الحكمة صبا ثقيلاً. نريد للقارئ أن يشعر وهو يقرأ المقالة الأدبية أنه ضيف قد استقبله الكاتب في

(١٦) انظر د. محمد عوض محمد: محاضرات عن فن المقالة الأدبية، ص ٦٤، ٦٥

حقيقته ليمتعه بحلو الحديث، لا أن يحس كأنما الكاتب قد دفعه إلى مكتبته ليقرأ له فصلاً من كتاب»^(١٧).

وكاتب المقالة الأدبية الجيدة يدرك ما للألفاظ وتراكيبها من قوة تعبيرية فيحسن استعمالها بذكاء، بحيث يؤدي بها - فضلاً عن معانيها العقلية، أو مدلولاتها المباشرة - كل ما تحمل من صور مدخرة ومشاعر كامنة. والكاتب الناجح هو الذى يفيض عنه التعبير فيضاً كما يتفجر ينبوع بالماء، مع الحرص على الرفق بقارئه حتى لا ينفر منه «لأن واجب الأديب الحق أن يخدع القارئ كي يمعن في القراءة، كأنما يُسرّى هو عن نفسه المكروبة عناء اليوم، أو يزجي فراغه الثقيل.

وهو كلما قرأ تسلل إلى نفسه ما شاع في سطور المقالة من نكتة خفيفة وسخرية هادئة، دون شعور منه بأن الكاتب يعتمد في كتابته إلى النكتة والسخرية، فإذا بالقارئ آخر الأمر يضحك، أو يتأثر على أى صورة من الصور بهذه الصورة الخيالية التى أثبتتها الكاتب في مقالته.

وقد يعجب القارئ كيف يمكن أن يكون فى النفس البشرية مثل هذه اللفتات واللمحات! ولكنه لن يلبث حين يتبين أن هذا الذى عجب منه إنما هو جزء من نفسه أو نفوس أصدقائه، فيضجره أن يكون على هذا النحو السخيف، فيكون هذا الضجر منه أول خطوات الإصلاح المنشود»^(١٨).

والذى يحدد لنا طريقة كاتب المقالة الأدبية عناصر ثلاثة:

- ١ - استخدامه لألفاظ معينة تميزه عن سواه.
- ٢ - اتباعه لطريقة خاصة به فى ترتيب هذه الألفاظ.
- ٣ - معالجته لموضوعاته على نحو ينفرد به فى سوق العبارات، وبالطريقة التى تُحدث صداها فى الإحساس وأثرها فى العقل.

كما يستطيع الكاتب الواعى أن يزيد فى كتابته - وبدون تكلف - من الألفاظ المشحونة بالعاطفة، ويرتبها ترتيباً من شأنه أن يزيد فى تحريك الشعور

(١٧) د. زكى نجيب محمود: جنة العبيط، ص ١٠

(١٨) المصدر السابق، ص ١٣

ورضا العقل؛ فالفرق بين كاتب وكاتب إذن هو في الألفاظ المختارة، وفي ترتيبها، والطريقة التي تُساق بها هذه الألفاظ.

ويبرز لنا في هذا المجال موقف كاتب المقالة الأدبية من اقتباس الأفكار. ويرى فيه الدكتور زكي نجيب محمود رأيا صائبا فيقول: «إن الأديب إذا برهن مرة على أنه قادر على الكتابة المبتكرة فله الحق بعد ذلك في أن يسطو ما يشاء على إنتاج الآخرين، ذلك لأن الفكر ملك لكل من يستطيع أن يستخدمه استخداما حسنا، وأن يضعه وضعاً ملائماً. إن الفكر المستعار يظل بغيبضا حتى تعرف ماذا تصنع به وعندئذ يكون ملكاً لك.... وهؤلاء هم علماء النفس يُجمعون على أن الخيال المبتكر ليس لمبتكره فيه إلا فضل التأليف بين عناصر موجودة فعلاً.... إن قوة الخيال هي أن تربط العلاقة بين شيئين أو مجموعة من الأشياء لم يسبقك إلى ربطها على هذا النحو إنسان».^(١٩)

وتعود الكاتب على روح عمله وهو الكتابة أمر مرغوب فيه؛ فالموسيقى يعيش في عالم من الجو الموسيقى، والرسام يعيش حياته الفنية من خلال الألوان والظلال. كذلك الكاتب ينبغي أن يتمتع - إلى جانب الذهن الواعي والحس الأدبي - بالقدرة على معايشة موضوعات كتابته، والشعور برسالته نحوها حتى يُعدّ من الكتّاب المميزين الجديرين بقراءة نتاجهم.

والصفات التي ينبغي أن تتوافر في الكاتب الجيد للمقالة الأدبية يمكن أن نوردّها فيما يلي: -

أولاً: صدق إيمانه بما يكتب، وحرارة عاطفته لموضوعه، وخفة روحه في عرضه.

ثانياً: أن يكون متمتعاً بالذوق اللغوي الممتاز في إلباس المعاني الألفاظ المناسبة، ووضع الألفاظ في أماكنها الملائمة، وسوق الجمل في إيقاع يعث في القارئ الإحساس بالمتعة، مع حرص الكاتب على ألا يشوه رصانة لغته جفاف، ولا يلحق أناقته تكلف؛ فكاتب المقالة الأدبية الواعي يراعى الإدراك

(١٩) المصدر السابق، ص ١٦٣، ١٦٤.

الجمالى عند القارىء، وإحساسه الفطرى به فيحرص على مراعاة ذلك لدى القارىء.

ثالثاً: أن تكون لدى كاتب المقالة الأدبية روح الملاحظة الذكية التى ترصد ما حولها، ثم تختار ما تراه جديراً بالتعبير عنه من مظاهر الحياة وشئون الكون، ومن تجارب الآخرين على حد سواء.

فالكاتب المتمتع بقوة الملاحظة يعمل إذن على توظيفها بذكاء فى كتاباته، ويحرص على عادة تيقظ حواسه، وتنبه ذهنه لمختلف الأنشطة. وهذا التيقظ لحواسه والتنبه فى ذهنه ينبغى ألا يكون مقصوراً على المجال الأدبى وحسب، بل يشمل مجالات أخرى، وأشياء متعددة حوله؛ لأن التخصص فى مجال معين ليس معناه حصر الاهتمام بهذا المجال دون سواه، بل لعل العكس هو الصواب فى مجالات الدراسات الإنسانية بصفة خاصة.

رابعاً: تنمية ثقافة الكاتب وخاصة بالقراءة بوصفها نشاطاً ينبه القدرات الإبداعية لدى الكاتب؛ فكل ما يقرأه وإن كان شيئاً عارضاً وبعيداً عن ميدان تخصصه خليق بأن يتجمع حول نواة من فكرة ولدت فى ذهنه، فإذا حل وقت الكتابة فسيجد مادة مفيدة، ورصيداً من الآراء المدخرة والمعلومات المختزنة.

خامساً: ألا يكون صوت كاتب المقالة صدى لأصوات أخرى، بل يكون تناوله لموضوعاته فى المقالة التناول الحرّ المستقل، وطريقته هى الأداء الحى المتميز. نعم له أن يستعين بآراء الآخرين وأفكارهم ولكن ليضمها ويتمثلها ثم يعرضها فى نتاج جديد مصطبغ بشخصيته.

سادساً: التريث فى العمل حتى ينأى الكاتب بقلمه عن تقديم النتائج الفج المتعجل؛ فعدم وضوح الفكرة فى ذهن الكاتب، واضطراب المعانى لديه قبل الكتابة ينتج عنه - بطبيعة الحال - فكراً غير ناضج، وكتابة مشوشة غير متناسقة.

سابعاً: الملاءمة بين أسلوب الكاتب وتفكير القراء؛ فبعض الكتّاب يكتبون ويُعبّرون عما يجول فى خواطرهم من أحاسيس، ولكنهم يفعلون ذلك وليس فى خلدكم التفكير فى مواءمة هذا النتاج لكثير من القراء الذين هم من طبقات

متابينة. هؤلاء القراء الذين يجدون في بعض هذا النتاج شيئاً من الغموض، أو عدم الفهم لتعبيرات معينة لا يدركها إلا العدد القليل منهم بعد صعوبة.

فكاتب المقالة الأدبية الجيدة يحس وجود قرائه معه وهو في عزله يكتب على مكتبه. إنه يكتب وكأنه يتحدث إلى هؤلاء الآلاف من القراء، يعرف مشكلاتهم، ولا تغيب عنه أمانتهم. وليس هذا ما يسميه البعض بالنزول إلى مستوى القراء، ولكنه المحاولة التي تهدف إلى تجريد الكتابة من التعبيرات الغامضة والتراكيب المستغلفة.^(٢٠)

ثامناً: الملاءمة بين أسلوب الكاتب وروحه حتى تكون الكلمة المكتوبة انعكاساً صادقاً لنفسه الصادقة؛ فأحياناً تكون روح الكاتب متوهجة بجمال الصدق، ومع ذلك فإنه عندما يجلس ليعبر عنه تخرج لغته باردة سمجة لا روح فيها برغم محاولاته العسيرة.

وقد يكون الكاتب في حديثه متدفقا سلساً يعرف كيف يقص حكاية، ويصل إلى هدفه بروح واعية فاهمة فإذا جلس ليكتب كان أسلوبه صعباً أو متحذلقاً. ولعل سبب ذلك أن هذا الكاتب لم يعرف بعد كيف يسيطر على الأداة التي توصل هذه الأفكار إلى القراء. ومعنى ذلك أن عملية صب أفكاره على الأوراق تمتص كثيراً من نشاطه حتى لا تترك له حرية التصرف في قلمه. وكذلك فإن تحكمه في التعبير عن أفكاره يحتاج - بجانب التنمية بالثقافة - إلى الدربة حتى تصبح طبيعة لديه. وإلى أن يصل الكاتب إلى هذه المرحلة من الضبط في أسلوبه نجد أن ذلك الأسلوب لا يمثله وقد يباين طبيعة نفسه. وعلى ذلك فإن أكثر الأساليب صفاءً وحلاوة هي الأساليب الرفيعة التي مرت بتلك المراحل حتى تبدو من سماحتها وطبيعتها كأنها الشيء اللين اليسير. مثل هذا الأسلوب الرفيع هو الجزاء الحق للجهد الطويل في التغلب على تلك العناصر غير المناسبة في الأسلوب.^(٢١)

(٢٠) انظر د. محمد كامل جمعة: الأسلوب، ص ٧٠، ٧١.

(٢١) انظر المصدر السابق، ص ٧١، ٧٢.

تاسعاً: مراعاة الكاتب لجانبى الاقتصاد فى الكتابة مع الوضوح فيها. ويتحقق هذان العنصران (الاقتصاد والوضوح) بعدم الإسراف فى استقصاء جوانب الموضوع وجزئياته بالتفصيل كما سبق أن ذكرنا، وبإيراد الكلمات المفهومة والتراكيب النحوية السليمة حتى لا يستنفد جهد القارئ فى تفسير الكلمات وتوضيح التراكيب النحوية؛ فينبغى على الكاتب إذن أن يوفر للقارئ هذا الجهد، فبدلاً من أن يضعه فى فهم كلمة غامضة المعنى، أو إدراك تركيب مستغلق ينفق القارئ جهده فيما هو أجدى وأكثر منفعة ومتعة.

غير أن هناك بعض الأفكار التى يكتنفها الغموض، ولا يسهل استيعاب مدلولاتها، كما أن فى الحياة أسراراً لا يسهل التأدى إليها، والوقوف على مكنونها إلا بمشقة وجهد.

وقد تعلمنا أن ما نحصل عليه رخيصة فى مجال الأدب وفى غيره من أمور الحياة لا نعتر به ولا نقدره حق قدره. وفى أغلب الأحيان تكون قيمة الفكرة فيما نبذله من إحاطة بها وفهم لها.

هذا صحيح ولكنه لا ينبغى أن يكون حجة تؤخذ على حساب عنصرى الاقتصاد والوضوح فى المقالة الأدبية.

ومن ناحية أخرى نجد فى حالات كثيرة أن مفهوم الاقتصاد ليس فى التقليل من جهد القارئ وحسب، بل فى حثه على أن يضاعف من نشاطه فى تلقى ما يقدمه له الكاتب من لغة تزيد من شهيته للقراءة، ومن أسلوب يمتعه ويرضيه. وهذا النوع من الاقتصاد فى الكتابة يتطلب مهارة الكاتب لكى يؤثر الكلمة الموقظة الموحية، ويفضل الصورة الحية الدالة، ويعرض الأفكار فى سياق محبب للقارئ.

وليس من اليسير أن يضع الباحث إرشادات أو قواعد معينة لاتباعها كاتب المقالة الأدبية فى هذا المجال؛ لأن ذلك يتوقف إلى حد كبير على ثقافة الكاتب وذوقه وذكائه. والذى يمكن أن يُقال فى هذا المقام إن هذا شئ يحتاج إلى الدربة ليتعلم أن كلمة توحى بمعان، وأن لفظاً واحداً يبعث فى خيال القارئ

صوراً مؤثرة يأخذ بعضها بيد بعض في يسر وسهولة.^(٢٢)

ونستطيع أن نقول بعد هذا العرض لخصائص المقالة الأدبية وصفات كاتبها إن كثيراً من كُتّاب المقالة في أدبنا الحديث تتحقق فيهم الصفات السابقة، وفي مقدمتهم الدكتور زكى نجيب محمود.

(٢٢) انظر المصدر السابق، ص ٧٢، ٧٣.

المقالة الأدبية والتراث العربى

نشأت المقالة الأدبية الحديثة فى أوربا فى القرن السادس عشر الميلادى على يد الكاتب الفرنسى ميشيل دى مونتين Michel De Maigne (١٥٣٣ - ١٥٩٢م) فقد كتب عدداً من الفصول أطلق عليه اسم Essais بمعنى «محاولات» أو «تجارب» كأنه كان يحس أنه يكتب فناً جديداً من فنون الأدب على سبيل المحاولة أو التجربة.

وانتقلت هذه الكلمة إلى اللغة الإنجليزية، وشاع استعمالها بمعنى المقالة الأدبية. وسرعان ما ظهرت ترجمة إنجليزية فى لندن لكتاب مونتين بالفرنسية قام بها فلوريو Florio سنة ١٦٠٣م، وتأثر بالكتاب كبار الأدباء الإنجليز، ومن أبرزهم فرنسيس باكون Francis Bacon (١٥٦١ - ١٦٢٦م) ثم وجدت المقالة فى الصحافة المجال المناسب لتأخذ مكانها ومكانتها التى حظيت بها بين ألوان الأدب الأخرى.

وأهم ما يميز مقالات مونتين كثرة الشواهد التى كان يستقيها من اللاتينية، والصراحة الجريئة فى عرض شئونه الخاصة، ونغمة الشك الهادىء التى تشيع فى كتاباته. ويمكن أن تُدرج مقالاته ضمن المقالات الذاتية. أما مقالات باكون فهى مجموعة من الأفكار والخواطر التى لا يُعنى فيها بالترتيب، مع التركيز الشديد فى كتاباته. ويمكن أن تُصنف مقالاته فى إطار المقالات الموضوعية. ولندع عباس العقاد يقدم لنا موازنة واعية بين هذين الكاتبين بوصفهما أبرز كُتّاب المقالة الأدبية فى الغرب فيقول: «مونتين فياض مسترسل، كثير الأغراض، متعدد الملامح الشخصية، قريب فى أسلوبه إلى أساليب المقالين المحدثين. ولكن باكون - على دأبه فى جميع حالاته - كان أقرب إلى الاحتجاز والتركيز، ودسومة المادة الفكرية، واجتناب الألوان الشخصية، واللامح الخاصة التى تنم عليه وعلى الجانب الإنسانى فيه».^(٢٣)

(٢٣) عباس العقاد: فرنسيس باكون، ص ٣٤٩

ولانود التوسع في الحديث عن نشأة المقالة في الغرب وتطورها وأعلامها هناك؛ فقد تكفلت أعمال علمية أخرى بهذا الجانب.^(٢٤)

وبعد الإشارة السريعة إلى نشأة المقالة الحديثة في الآداب الغربية نتساءل هل يوجد شبهة للمقالة الأدبية الحديثة في تراثنا العربي؟^(٢٥).

والإجابة عن هذا التساؤل بالإيجاب؛ فهناك ألوان أدبية في ذلك التراث لا تختلف كثيراً عن المقالة الأدبية بمفهومها الحديث وإن كانت تتسم بالسمات الأسلوبية للعصور التي كُتبت فيها، وتحمل أسماء أخرى مثل «الرسالة» أو «الفصل».

بل يذهب عباس العقاد إلى أبعد من ذلك فيرى أن «الفصل» كما عرفه العرب هو أقدم رائد للمقالة في الآداب العالمية؛ لأنه ظهر قبل ظهور مقالات مونتين الذي يُعد إمام هذا الفن بين الأوروبيين.^(٢٦)

وسنقتصر على إيراد أربعة نماذج من هذه «الفصول» و«الرسائل» كشواهد على أنها لا تختلف كثيراً عن المقالة الأدبية الحديثة بالخصائص التي تحدثنا عنها فيما سبق.

يرسم لنا النموذج الأول - وهو لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

(٢٤) انظر على سبيل المثال:

- عباس العقاد في المصدر السابق عن فرنسيس باكون

- د. محمد كامل جمعة: مونتاني من مقالاته الأدبية، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٥٨.

- نبيه صقر: مونتاني: حياته - فلسفته - منتخبات، بيروت، منشورات عويدات، ١٩٦١، ط أولى.

- إيليا نعمان حكيم: بحث عن كتاب المقالات لمونتين، سلسلة تراث الإنسانية، القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، المجلد الخامس، الجزء الثاني والثالث، ٥ من فبراير ١٩٦٧، ٥ من مارس ١٩٦٧.

- د. محمد عوض محمد: محاضرات عن فن المقالة الأدبية، من ص ٥٧ إلى ص ٧٢.

- د. محمد يوسف نجم: فن المقالة، من ص ٥ إلى ص ١٦، ومن ص ٢٥ إلى ص ٦٣.

- د. أحمد أمين ود. زكي نجيب محمود: قصة الأدب في العالم، الجزء الثاني، من ص ٦١ إلى ٦٧، ومن ص ٢٣١ إلى ص ٢٣٦.

(٢٥) لم نقل إن لها جذوراً في التراث العربي؛ لأن كُتَّاب المقالة الحديثة من أدبائنا حاكوا في كتاباتهم لها المقالة في الأدب الغربي، ولم يريدوا بعث لون أدبي قديم.

(٢٦) انظر عباس العقاد: يسألونك، ص ٥.

(١٥٠ - ٢٥٥هـ) - صورة للبخل ممثلة في سلوك أصحابه، وحرصهم الشديد على ما في أيديهم، وذلك في أسلوب أدبي رائع، وعرض فكاهي شيق فيقول: «حديث سمعناه على وجه الدهر. زعموا أن رجلاً قد بلغ في البخل غايته، وصار إماماً، وأنه كان إذا صار في يده الدرهم خاطبه وناجاه وفداه واستبطأه. وكان مما يقوله له: (كم من أرض قد قطع، وكم من كيس قد فارقت، وكم من حامل رفعت، ومن رفيع قد أخلت. لك عندى أن لا تعرى ولا تضحى). ثم يلقيه في كيسه ويقول له: (اسكن على اسم الله في مكان لا تُهان ولا تُذل ولا تُزعج منه) وأنه لم يُدخل فيه درهما قط فأخرجه. وأن أهله ألحوا عليه في شهوة، وأكثروا عليه في إنفاق درهم، فدافعهم ما أمكن ذلك. ثم حمل درهما فقط، فبيناه ذاهب إذ رأى حوَّاء قد أرسل على نفسه أفعى لدرهم يأخذه، فقال في نفسه: أُلِفُّ شيئاً تُبدل فيه النفس بأكلةٍ أو شربة؟ والله ما هذا إلا موعظة لى من الله. فرجع إلى أهله وردَّ الدرهم إلى كيسه. فكان أهله منه في بلاء، وكانوا يتمنون موته والخلاص منه بالموت والحياة بدونه.

فلما مات وظنوا أنهم قد استراحوا منه قَدِمَ ابنه، فاستولى على ماله وداره ثم قال: (ما كان إدم أبى؟ فإن أكثر الفساد إنما يكون في الإدام)، قالوا: (كان يتأدَّم بجُبنة عنده؟)، قال: أرونيها، فإذا فيها حَزٌّ كالجدول من أثر مَسْجِ اللقمة. قال ما هذه الحفرة؟ قالوا: (كان لا يقطع الجُبَن، وإنما كان يمسح على ظهره فيحفر كما ترى)، قال (فهذا أهلكنى، وبهذا أقعدنى هذا المقعد. لو علمتُ ذلك ما صليتُ عليه)، قالوا: (فأنت كيف تريد أن تصنع؟) قال: (أضعها من بعيد فأشير إليها باللقمة)». (٢٧)

ويعرض النموذج الثانى - وهو للجاحظ أيضاً - رسالة في الحنين إلى الأوطان تُرينا نظرته لهذا الجانب الإنساني في حياة الناس، كما تكشف عن ثقافته الواسعة، وفهمه الصحيح للطبيعة البشرية، يقول الجاحظ: «إن لكل شيء من العلم، ونوع من الحكمة، وصنف من الأدب سببا يدعو إلى تأليف ما كان فيه

(٢٧) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البخل، تحقيق وتعليق طه الحاجرى، القاهرة دار الكاتب المصرى، ١٩٤٨، ص ١١٩، ١٢٠.

مشتتاً، ومعنى يحدو على جمع ما كان منه متفرقا. ومتى أغفل حَمَلَةُ الأدب وأهل المعرفة تمييز الأخبار واستنباط الآثار، وضُمَّ كلُّ جوهر نفيس إلى شكله، وتأليف كل نادر من الحكمة إلى مثله بطلت الحكمة، وضاع العلم، وأُميت الأدب، ودَرسَ مستور كل نادر.

ولولا تقييد العلماء خواطرهم على الدهر، ونقرهم آثار الأوائل في الصخر لبطل أول العلم وضاع آخره. ولذلك قيل: لا يزال الناس بخير ما بقى الأول يتعلم منه الآخر.

وإن السبب الذى بعث على جمع نتيف من أخبار العرب في حينها إلى أوطانها، وشوقها إلى ثربها وبلدانها، ووصفها في أشعارها توقد النار في أكبادها أننى فاوضتُ بعض من انتقل من الملوك في ذكر الديار، والنزاع إلى الأوطان، فسمعتُه يذكر أنه اغترب من بلده إلى آخر أمهد من وطنه، وأعمر من مكانه، وأخصب من جنبه.^(٢٨) ولم يزل عظيم الشأن جليل السلطان، تدين له من عشائر العرب ساداتها وفتياتها، ومن شعوب العجم أنجادها وشجعانها. يقود الجيوش، ويسوس الحروب، وليس ببابه إلا راغبٌ إليه أو راهبٌ منه؛ فكان إذا ذكر الثربة والوطنَ حنَّ إليه حين الإبل إلى أعطانها، وكان كما قال الشاعر:

إذا ما ذكرتُ التَّغَرَ فاضت مدامعى وأضحى فؤادى نُهبةً للهماهم^(٢٩)
حنيناً إلى أرضي بها اخضرَّ شارى وحلَّت بها عنى عُقود التمام
وألطف قومٌ بالفتى أهل أرضه وأرعاهم للمرء حقَّ التقادم
وكما قال الآخر:

يَقَرُّ بعينى أن أرى مَنْ مكانه ذرى عَقِدات^(٣٠) الأبرق المتقاود^(٣١)
وأن أَرِدَ الماء الذى شربتُ به سليمى وقدمل السرى كلُّ واخذ^(٣٢)
وألصق أحشائى ببرد ترابها وإن كان مخلوطاً بِسُمِّ الأسود^(٣٣)

(٢٨) جنبه: ناحيته، يقال فلان خصب الجنب أى سخي.

(٢٩) المهمة: الكلام الخفى، والمراد الهواجس.

(٣٠) العَقْد: بفتح فكسر: التراكب من الرمل، واحده عقدة.

(٣١) المتقاود: المستطيل من الأرض.

(٣٢) الواحد بالخاء المعجمة: عنى به من وخذ به بعيره، أى أسرع ووسع الخطو.

(٣٣) الأسود: العظيم من الحيات وفيه سواد.

فقلت:

لئن قلتَ ذلك لقد قالت العجم: من علامة الرُّشد أن تكون النفسُ إلى مولدها مشتاقة، وإلى مسقط رأسها تَوَاقَّة. وقالت الهند: حُرمة بلدك عليك مثل حرمة أبويك؛ لأنَّ غذاءك منهما وغذاءهما منه.

وقال آخر: احفظ بلداً رشَّحك^(٣٤) غذاؤه، وارع حمى أكنَّك فِناؤه. وأولى البلدان بصابتك إليه بلدٌ رَضِعتَ ماءه، وطعمتَ غذاؤه. وكان يقال: أرضُ الرجل ظئره^(٣٥)، وداره مهده. والغريب النَّائى عن بلده المتحنى عن أهله كاللَّوثر النَّادٍ^(٣٦) عن وطنه الذى هو لكل رَامٍ قنيسة.

وقال آخر: الكريم يحن إلى جنابه كما يحن الأسد إلى غابه..... الخ^(٣٧).

ونلاحظ في هذين النموذجين سمات الجاحظ في كتاباته من رهاقة حس، ونفاذ بصيرة، وذكاء في رصد مظاهر الحياة في مجتمعه، واستيعاب لعلوم عصره، وبراعة في عرض هذا كله بأسلوب مشرق، وإيقاعات جميلة، وعبارات متوازنة. فلا غرابة إذن في أن تكون كتابات الجاحظ نموذجاً رائعاً للكتابات الثرية على مر العصور، ففيها - فضلاً عما أشرنا إليه - من الثقافة المتنوعة، والنزعة الإنسانية، والدعابة المحببة ما يرضى العقل ويمتّع النفس.

ويقدم النموذج الثالث - وهو لأبى حيان التوحيدى (٣١٠ - ٤١٤هـ) - رؤية لموضوع من الموضوعات التى تشغل الإنسان في أى زمان كان، وفي أى مكان حلّ ألا وهو موضوع الصداقة الذى عُنَى به أبو حيان وأكثر من الكتابة فيه.

يقول أبو حيان في إحدى الرسائل التى أوردتها في كتابه (الصداقة والصديق): «الصداقة - أطال الله مدتك - التى وكَّدها^(٣٨) الله بيننا بالدين

(٣٤) الترشيح: الترية والتفوية.

(٣٥) الظئر: المرضعة لغير ولدها. ويطلق على زوجها. والظئرة: الدَّعامة تُبنى إلى جنب الحائط.

(٣٦) ند بند ندودا: شرد وذهب على وجهه.

(٣٧) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الجزء

الثانى، القاهرة مكتبة الخانجي، ١٩٦٤، ص ٣٨٣-٣٨٦.

(٣٨) وكَّدها: وثَّقها.

أولاً، ثم بالجوار ثانياً، ثم بالصناعة ثالثاً، ثم بالمخالحة^(٣٩) رابعاً، ثم بالمنشأ خامساً، ثم بالمعاقرة^(٤٠) سادساً، ثم بالتجربة سابعاً، ثم بالألفة ثامناً، ثم بالميلاد تاسعاً، ثم بانتظام هذه كلها^(٤١)، عاشراً تتقاضانى^(٤٢) لك حقوقاً أنت عن التقصير فيها أغنى، وأنا بالإعفاء منها أملئ^(٤٣).

وإذا كنا على هذا السَّيَّاح^(٤٤) دارجين^(٤٥)، وفي هذه الحومة داخلين، وعنها خارجين، فليس لحاسد إلينا سبيل، ولا لمتكلف^(٤٦) علينا دليل.

والله إنك لتذكر واحداً كذكرك عنقا يزيد على عنق العنبر، ويوصف فأرى لوصفك ما لا يراه أحدٌ من البشر لأحدٍ من البشر. وربما حلمتُ بك في الرؤيا فيكون ذلك قوتى طول يومى. ومن كان هذا نعته من أجلك فكيف ينمُّ بالقلم شوقه إليك؟ وكيف يذكر ما يختصّه لك^(٤٧)؟ وكيف يجهز ما يشتمل عليه من خالصته ومحبته إليك؟

وقد يقصرُ اللفظُ لِلطِّيفِ المعنى، كما يطول المعنى لقصر اللفظ. والإخاء إذا قَدَّمَ اسْتَحْصَدَتْ مرأته^(٤٨)، واستوسقت سوائره^(٤٩). وعند ذلك يكون الوصف باللسان تكلفاً، والتكلف للوصف تعسفاً. وقد حضر لعبدك ولدى ختان أنت أولى الناس فيه بالقيام والعود، بين الناي والعود. فإن رأيت أن تَبْدُرَ^(٥٠) إلى ذلك - غداة غد - مكافحاً للشمس عند الطلوع، غير عاجج إلى

(٣٩) المخالحة: المؤاكلة والمراضعة.

(٤٠) المعاقرة: المراد الملازمة.

(٤١) أى باجتماع هذه الخلال جميعها وتألفها.

(٤٢) تتقاضانى: تطلب منى وتوجب على.

(٤٣) إن تلك الوشائج العشر التى ذكرت توجب على حقوقاً لك، إن أنا قصرْتُ فيها فلن يضرَّكَ ذلك التقصير لأنك غنى عنها، وإن أنت أعفيتنى منها فإن ذلك يؤدى إلى السقوط والانهيار.

(٤٤) السَّيَّاح: المسع.

(٤٥) دارجين: ماشين.

(٤٦) المتكلف: المراد الوقاع فيما لا يعنيه.

(٤٧) ما يختصه لك: ما يخصُّكَ به من أحب.

(٤٨) استحصدت مرأته: استحكمت.

(٤٩) استوسقت سوائره: استقر سلطانه.

(٥٠) تيدر: تبادر وتسرع.

غيره^(٥١) فعلت إن شاء الله». ^(٥٢)

ويقف بنا النموذج الرابع - وهو لأبي حيان أيضاً - على نمط من الحياة الاجتماعية في عصره، ولون من ألوان الحياة المترفة التي كانت تعيشها بعض الطبقات آنذاك.

يقول أبو حيان في رسالة عن طباخ: «كتبْتُ - أعزك الله - من المحل الجديب، والبلد القفر، الذى أنا به غريب عن سلامة الجوارح والحواس، إلا حاسة التمييز فإنها أوضحت لما اخترت المُقام بهذه المفازة، وأحمد الله - عز وجل - كثيراً على نعمه ومحنه.

ومن مصائبى - أعاذك الله عز وجل من كل مصيبة، وجنّبك كلّ ملمة - أن نوحاً طباخنا توفى فأمرضتني أذيتي، وآلمتني فجيعتي، وكان عنوان النعمة، وترجمان المروعة، وواسطة القلادة، فلهفى عليه! فلقد كان قوام جسمي، وزيادة شهوتي، ومتع زوّارى وأضيافى، أحذق أهل صناعته، وأبينهم فضلاً، وأرهقهم سكيناً، وأعدّهم تقطيعاً، وأذكاهم ناراً، وأطيبهم يداً، ما أكاد أقترح عليه شيئاً إلا وجدته قد سبقني إليه، مُعَبِّ للموائد، مليك للثرائد، مع كل حارٍ وبارد، كأنّ مائدته رياضٌ مزخرفة، أو بُرودٌ مُقَوِّفة^(٥٣)، مُرتَّب للألوان، منظّف للخوان، لا يجمع بين شكلين، ولا يوالى بين طعامين، ولا يغرف اللون إلا وضدّه، يُنضج الشواء، ويُحكّم الحلواء، ويخالف بين طعام الغذاء والعشاء، يكتفى باللحظة، ويفهم بالإشارة، ويسبق إلى الإرادة، فكأنه مطّلع على الضمير من الزائر والمزور، فأودى فقيداً حميداً، ليس مثله موجوداً طريفاً ولا تليداً. فما ظنك - أعزك الله - بمبتلٍ تجمع عليه فقدُ مثل هذه العقدة النفيسة، وتطاول الأيام بهذه الناحية المحلّة^(٥٤) الموحشة، والله - عز وجل - لا أتقى إلا الشمائّة، ولستُ في ثغرٍ فاحتمل عاجل الضنك، ولا بإزاء

(٥١) غير عاجل إلى غيره: غير مقيم بغيره.

(٥٢) أبو حيان التوحيدى: الصداقة والصديق، شرح وتعليق على متولى صلاح، القاهرة، مكتبة الآداب

بالجماميز، ١٩٧٢، ص ٩٠، ٩١

(٥٣) بُرْدٌ مُقَوِّفٌ: رقيق مُخَطَّط.

(٥٤) المحلّة: المجذبة

عدوّ فيشغلنى مقارعته، والظفرُ به، والنكاية فيه عن ملاذّ الطعام. وأسأل الله - عز وجل - الكريم المَنَّان أن يختار لى، ويعجّل مما أنا فيه راحتى، ويدلنى خيراً منه زكاة وأقرب رُحماً بجوده وكرمه.

وكتائبك - أعزك الله - إذا وَرَدَ علىّ نفى عنى هذه الوحشة، فإن رأيت - جعلنى الله فداك - أن تهدى لى براً وصلة ووصلة وأنساً فعلت إن شاء الله تعالى». (٥٥)

ونرى أن أسلوب أبى حيان فى التمودجين السابقين يعكس - كما هو الشأن فى كتاباته الأخرى - موهبة نادرة فى الكتابة، وعاطفة جياشة، ومزيجاً من الفكر والخيال، والتجربة والإحساس، وقلماً سيّلاً يفيض بالمعجب من القول، والجميل من الصور، والطريف من الموضوعات على نحو يحمل قارئه على الاستزادة من مطالعة ما كتب، والرغبة فى صحبته الممتعة. وهذا كله من مقومات المقالة الأدبية الجيدة.

(٥٥) أبو حيان التوحيدى: البصائر والذخائر، المجلد الأول، تحقيق وتعليق الدكتور إبراهيم الكيلانى، دمشق، مكتبة أطلس، ١٩٦٤، ص ٤٤٤-٤٤٦

المظاهر الفارقة بين المقالة الأدبية والمقالات الأخرى

بعد أن عرفنا فيما سبق تحديد خصائص المقالة الأدبية، وصفات كاتبها، وصلتها بالتراث العربى نعرض هنا لمظاهر الفرق بينها وبين المقالة الصحفية والمقالة العلمية^(٥٦)

أولاً: المقالة الصحفية:

الصحافة مهنة لها أصولها ومتطلباتها وأهدافها، والأدب فن له مقوماته وجمالياته ورسالته. وإذا كانت المقالة الصحفية تخاطب جماهير القراء بصفة عامة فإن المقالة الأدبية تخاطب من يتذوق الأدب فيهم بصفة خاصة. ووظيفة المقالة الصحفية هى التعليق على الأخبار فى الصحف، سواء كانت هذه الأخبار سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية بأسلوب الصحيفة المباشر الذى لا يهتم بالتعبير البياني، ولا يُعنى بالصور الموحية، بحيث يكون المعنى فى ظاهر اللفظ؛ لأن الصحف تخاطب الجماهير ويقرؤها العامة والخاصة، فضلاً عن أن قراءها ييغونها للساعة فلا محل إذن للارتفاع بعبارتها والتعمق فى معانيها. «ذلك أن الصحافة أدب غير خالده؛ لأن الأدب إنما يستمد خلوده من أشياء لها بالنفس الإنسانية أوثق صلة وأقوى رابطة. أما المقال الصحفى ففضلاً عن أنه وليد الساعة التى يُكتب فيها، والظرف الذى أنشئ فيه، فمتى فرغ القارئ من قراءته لم يشعر بحاجة إلى العودة إليه»^(٥٧)

وكاتب المقالة الأدبية يجد من الوقت متسعاً لإخراج مقالته بالصورة الفنية

(٥٦) قسّمنا المقالة من حيث طريقة معالجتها ووجهة كاتبها إلى ثلاثة أنواع رئيسة هى: المقالة الأدبية والمقالة الصحفية والمقالة العلمية. أما ما يوصف بالمقالة الاجتماعية أو المقالة السياسية وغيرهما فيمكن أن يُدرج ضمن الأنواع الثلاثة الرئيسة للمقالة: الأدبية أو الصحفية أو العلمية.

(٥٧) د. عبد اللطيف حمزة: أدب المقالة الصحفية فى مصر، الجزء الثانى، القاهرة، دار الفكر العربى،

التي يراها معبرة عمّا في نفسه، وما يجول بخاطرهِ، حتى تصل لقارئهِ في الإطار الذي يرضيه كأديب. أما كاتب المقالة الصحفية فليس أمامه متسع لشيء من ذلك، لما يتطلبه العمل الصحفي من متابعة الحوادث وتطوراتها. «والوسائل التي يعتمد عليها الأديب كثيرة يمكن أن يقع منها الكثير تحت عنوان واحد هو «الخيال والصورة»؛ فالأديب صاحب الحق في أن يعتمد على التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية، وعلى ما يسمى بتجسيم المعاني... وما يسمى بتشخيص الجماد.....

أما الصحفي فوسيلته في التعبير اللغوي واحدة قلما يستطيع أن يعدوها إلى غيرها من الوسائل الأخرى. وهذه الوسيلة هي لغة الحياة الواقعة يتخذها أساساً للتعبير والإبانة، ويعتمد عليها في كتابة الأعمدة الكثيرة في الجريدة»^(٥٨)

ثانياً: المقالة العلمية:

يعتمد فيها كاتبها إلى عرض الحقائق المجردة مخاطباً العقل، ومتخذاً أسلوب العلم ومنهجه. وهو حين يكتب لا يكون إلا فرداً من الجنس البشري يوجه الكلام إلى العنصر المشترك في سائر الأفراد. وهو لا يدخل جانبه الشخصي في كلامه، ذلك الجانب الذي يتميز به الأفراد بعضهم عن بعض؛ فالعقول في الناس تنظر إلى الأمور من وجهة واحدة هي وجهة العقل. أما المشاعر لديهم فمختلفات لكل واحد فيها وجهته وشخصيته. ومن ثمّ كان التعبير العلمي يقوله هذا هو التعبير نفسه الذي يقوله ذاك، ويقولهُ أُلوف الناس على تباين ثقافتهم وألوانهم لا سبيل إلى خلاف بينهم فيه. ولعل ذلك ما حدا بالعلماء أن يؤثروا الرموز على الألفاظ.

والكتابة الفنية تختلف عن الكتابة العلمية بما تمتاز به الأولى من عرض الخواطر والخواالج بأسلوب جميل مثير للشعور والخيال، وبالتالي ممتع للنفس. وتمتاز الثانية بأنها تتوخى تبليغ المعلومات والحقائق عن طريق العقل والمنطق،

(٥٨) د. عبد اللطيف حمزة: الصحافة والأدب في مصر، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية،

١٩٥٥، ص ١٣، ١٤

فغرض الأولى المتعة النفسية الحاصلة من تذوق الجمال، وغرض الثانية الفائدة المعنوية والعقلية.^(٥٩)

كما لا توجد ذاتية في المقالة العلمية غالباً؛ لأن العناية مركزة فيها على إيراد الحقائق. أما في المقالة الأدبية فإن الذاتية فيها غالباً ما تكون مصطبغة بالحياة والحركة. ولا تكون الحقائق واردة فيها وحسب، بل يكون إلى جانبها شعور الكاتب وموقفه وإيمانه.

ويجد القارئ نفسه إزاء المقالة العلمية وصاحبها أنه أمام معلم يعلمه مالم يكن يعلم، أو يثبت في ذهنه بعض ما كان يعلم أو ينفيه، مستخدماً في ذلك لغة العلم وأسلوبه المباشر.

أما المقالة الأدبية فإن القارئ يجد نفسه عند قراءتها أن صديقاً له يسامره، ويُقضى إليه بما في نفسه من أحاسيس ومشاعر، بأسلوب الأدب وصوره وأخيلته.

والكلام العادي لا يُعد أدباً «لأنه ليس له خصائص الأسلوب الأدبي اللغوية... فلا بد أن يتضمن الأدب حرارة العاطفة، وإلا انقلب إلى حقائق علمية أو رياضية تخرجه عن كونه أدباً. وحتى عندما يكون العمل الأدبي قائماً على الفكر يجب أن يتضمن الحرارة القادرة على أن تحرك وجدان الإنسان».^(٦٠)

وقد يختلط الأمر في جانب (التأمل) بين كاتب المقالة الأدبية وكاتب المقالة العلمية بمفهومها الفلسفي، ولكن هناك فرقاً بين التأمل الأدبي والتأمل الفلسفي وإن كانا يستقيان من نبع واحد؛ فالتأمل الفلسفي يتناول المجردات فيدقق النظر فيها إدراكاً لكونها معتمداً في ذلك التحليل العقلي. أما التأمل الأدبي فغاياته التعبير عما تثيره هذه المجردات في النفس من خوالج وصور خيالية. الأول محلل منطقي، والثاني مصور خيالي.^(٦١)

(٥٩) انظر أنيس المقدسي: الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، بيروت، دار الكاتب العربي، ١٩٦٣، ص ٢٤٤

(٦٠) د. محمد مندور: الأدب وفنونه، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٣، ص ٧.

(٦١) انظر أنيس المقدسي: الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، بيروت، دار الكاتب العربي، ١٩٦٠، ص ٣٢٣.

والأساس الذى يقوم عليه الفرق بين أسلوب المقالة العلمية وأسلوب المقالة الأدبية هو توافر عنصر العاطفة فى الأسلوب الأدبى إلى جانب الحقائق والأفكار، أما الأسلوب العلمى فإن المعارف العقلية هى الأساس الأول فى بنائه، وقلّما نجد للانفعال أثراً فيه. لذلك كانت العناية فيه باستقصاء الأفكار بقدر عناية الأسلوب الأدبى بقوة الانفعال؛ فلسنا نعدو الصواب إذا قلنا: إن الأسلوب العلمى هو لغة العقل أساساً، والأسلوب الأدبى هو لغة العاطفة أساساً. ويترتب على ذلك أن يكون الغرض من الأسلوب العلمى أداء الحقائق قصد التعليم، وخدمة المعرفة، وإنارة العقل. ولكن الغاية فى الأسلوب الأدبى هى إثارة الانفعال فى نفوس القراء، فضلاً عن ظهور شخصية الكاتب فيه غالباً، فتعرض الحقائق والأفكار مصطبغة بشخصية الكاتب ومجولة فى صورة أدبية مؤثرة. وبهذا يجمع الأسلوب الأدبى بين الإفادة والتأثير.

كما أننا نلاحظ فى أسلوب المقالة العلمية العبارة التى تمتاز بالدقة والتحديد والاستقصاء، وشيوع المصطلحات العلمية، والأرقام الإحصائية، والرسوم البيانية. أما أسلوب المقالة الأدبية ففيه العبارة الموحية، والصور الخيالية، والوقوف عند مواطن الجمال والتأثير، على نحو يؤدى فى النهاية للتأثير والانفعال؛ فكاتب المقالة الأدبية لا يجعل قصده - بالدرجة الأولى - تغذية العقل بالحقائق والأفكار، وإنما يعرف هذه الحقائق والأفكار ويختار أهمها وأبرزها بما يجد فيها من معرض عظة واعتبار، أو داع لتفكير وتأثير، ثم يفسر ما اختار تفسيراً خاصاً به بما يخلع عليه من نفسه، ثم يحاول نقل هذا الانفعال إلى نفوس قرائه، أو إثارة مثله لديهم. وهنا يكون عنصراً العاطفة والخيال غالبين. وحينئذ تكون المقالة الأدبية.

ويرى د. زكى نجيب أن رجال النقد قد تواضعوا «على أن يطلقوا كلمة «مقالة» على كل ضروب الكتابة الثرية إن قصُر طولها، وعالجت موضوعاً واحداً... وهذا كان مدى التفاوت بعيداً جداً بين مختلف صنوف الإنشاء التى تقع تحت هذا الاسم؛ فالبحث العلمى القصير مقالة كالرسالة العلمية التى كتبها «لوك» عن طريقة اكتساب الإنسان للمعرفة، وأطلق عليها (مقالة فى العقل البشرى).

والقطعة الأدبية مقالة، ومثال ذلك مقالات (لام). وهذا النوع من المقالة لا يضيف إلى العلم الإنسانى علماً جديداً، ولا يقدم للقارئ معرفة، إنما يقصد إلى إمتاعه ولذته بما فيه من فن جميل.

وبين هذين الطرفين - المقالة العلمية من ناحية، والمقالة الأدبية من ناحية أخرى - تتفاوت المقالات درجات في دنوها من هذا الطرف أو ذاك؛ فمنها ما هو إلى العلم الخالص أقرب، ومنها ما هو إلى الفن الخالص أدنى، ومنها ما يجمع الغائتين في آن معاً. فإن كان (لوك) مثلاً للفريق الأول، و(لام) مثلاً للفريق الثانى، فخير مثال نسوقه للفريق الثالث (ماكولى) الذى يحاول في مقالاته أن يكون مؤرخاً علمياً يتوخى الحق وصدق الرواية، وأن يكون فناناً في ألفاظه وعباراته في وقت واحد. يحاول (ماكولى) بأسلوبه ما يحاول الخطيب، يظهر للناس كأنما هو يدير القول في موضع عقلى منطقى، لكنه رغم ذلك لا يرجو أن يؤثر عليهم بحجته ودليله بقدر ما ينفذ إلى قلوبهم بقوة العبارة وحسن البيان»^(٦٢).

هذا في الغرب. أما في نتاجنا العربى فهناك مقالون كثيرون يمثلون الفرقاء الثلاثة السابقة؛ فعلى سبيل المثال وليس الحصر يمثل د. يعقوب صروف في مقالاته العلمية بمجلة المقتطف، ود. أحمد زكى في مقالاته العلمية بمجلة العربى الفريق الأول. ويمثل مصطفى لطفى المنفلوطى وأحمد حسن الزيات بمقالاتهما الأدبية الخالصة الفريق الثانى. ويمثل فؤاد صروف ود. محمد عوض محمد بمقالاتهما العلمية المعالجة بأسلوب أدبى الفريق الثالث.

ونطرح تساؤلاً عن المقالة الأدبية التى نسلکہا في عداد الفنون الأدبية وليست من قبيل المقالات العلمية التى تفنى متعتها عندما يستنزف القارئ ما فيها من معلومات، أو عندما تتغير بعض الحقائق التى اشتملت عليها بتقديم العلم؟

ونجيب بأنها المقالة التى لا تشتمل على قيم خارجة عن نطاقها الخاص، أى أنها تكون ممتعة في ذاتها. وبهذا وحده يكتب لها الخلود، لا بما تحتويه من

(٦٢) د. زكى نجيب محمود: فنون الأدب، ص ٦٢-٦٤

المعلومات الموثوقة، أو التحليل العلمى الدقيق.^(٦٣)

فالمقالة الأدبية - كما سبق أن قلنا - تُعنى بتصوير الإحساس ونقل الانفعال. وهذا يساعدنا فى التمييز بينها وبين المقالات الأخرى.

وإذا أردنا الفصل الواضح والتحديد الجازم بين أنواع المقالات فلن يتيسر لنا ذلك، نظراً للتشابه بين أنواع المقالات على صورة من الصور. والمهم فى هذا المجال مراعاة السمات الغالبة على المقالة، تلك السمات التى لا تغيب عن صاحب الحس الأدبى والذوق الفنى، كما سبق أن ذكرنا فى الفقرة العاشرة من خصائص المقالة الأدبية.

ويحسن بنا أن نشير إلى كيفية قراءة المقالة الأدبية قراءة واعية بهدف تقويمها. فهذه الكيفية تتطلب أن تُقرأ المقالة ثلاث مرات: قراءة أولى هى قراءة الاستمتاع التى نعيش فيها بخيالنا مع الكاتب فى تجاربه وخوارج نفسه. وقراءة ثانية فاحصة نتبين فيها مدى نجاح الكاتب وتوفيقه فى رسم الصور لنرى هل ساقها ناصعة حية ترسم فى ذهن القارئ بمثل ما ارتسمت فى ذهنه وهو ينشئ مقاله؟ أو كان دون هذه الغاية مقصراً. ثم قراءة ثالثة نناقش فيها آراء الكاتب وأفكاره ومفاهيمه ونقف على مقدار ما فيها من الصواب ومن الخطأ.

فقد تأثرنا إذن فى القراءة الأولى للمقالة الأدبية بتأثر الإحساس الأدبى. وفى القراءة الثانية أعملنا العقل والقوة الواعية، وفيها نستكشف قوة هذا اللفظ، وأثر تلك الصورة. وسنجد بعد هذا الكشف ظلالاً لطيفة دقيقة فى الصور والألفاظ كانت قد غابت عنا فى القراءة الأولى؛ لأننا بسحر الوقع فى شغل عن الأجزاء؛ فهذه القراءة الفاحصة ينبغى أن تسبقها قراءة أولى إبداعية تتم بقوة الخيال وحده نتابع فيها الكاتب بخيالنا، ولا نقف عند لفظة أو صورة لتتبين موضعها، فتلك مهمة القراءة الثانية قراءة الفحص. أما القراءة الثالثة فهى قراءة التقويم للأفكار والمفاهيم التى تضمنتها المقالة.

(٦٣) انظر د. محمد يوسف نجم: فن المقالة، ص ١٠١

المقالة الأدبية وفنون الأدب الأخرى

للنثر الأدبي - من مقالة وقصة وتراجم ومسرحية وخطابة - مزايا جديرة بالتنويه، فتحلله من الوزن والقافية جعله أكثر مرونة من الشعر المنظوم، وأقدر على معالجة موضوعات أكثر تنوعا وتعقيدا وأوسع مدى، وأرحب مجالا من معالجة الشعر. ومن ناحية الجمال اللفظي فقد أمكن للنثر الأدبي بصفة عامة، وللمقالة الأدبية بصفة خاصة الأخذ في هذا المجال بنصيب كبير، سواء أكان ذلك باستعمال لغة أدنى إلى لغة الشعر، أو بغير ذلك من الوسائل. ونحن ندرك أن هذه المكانة العظيمة للنثر الأدبي لم تتحقق إلا بعد مضي أجيال من التطور الأدبي سواء من حيث الصورة والصياغة، أو من حيث الموضوع والمادة.^(٦٤)

وقد سبق أن ذكرنا في معرض الحديث عن خصائص المقالة الأدبية أنها تعبير وجداني يُفصح فيه الكاتب عما يُكنه في نفسه، وما يشعر به إزاء مجتمعه، والمقالة من هذه الناحية وثيقة الصلة بالشعر الوجداني الذي يعبر عن اختبارات الشاعر الخاصة ومعاناته، ولكن المقالة تختلف عنه بما يتيح لها النثر من الحرية والمرونة.

ويبين الدكتور زكي نجيب محمود جوانب العلاقة بين المقالة الأدبية والقصيدة الغنائية، ومظاهر الفرق بينهما؛ فيرى أن المقالة الأدبية قريبة جدا من القصيدة الغنائية؛ لأن كليهما تغوص بالقارئ إلى أعماق نفس الكاتب أو الشاعر، وتتغلغل في ثنايا روحه حتى تعثر على ضميره المكنون.

وكل الفرق بين المقالة الأدبية والقصيدة الغنائية هو فرق في درجة الحرارة، تعلو وتتناغم فتكون قصيدة، أو تهبط فتكون مقالة أدبية^(٦٥). والقصيدة الغنائية في رأيه أيضا تعبر عن الذات تعبيرا يعلو بالذات ويسمو بها. وهي لا تصور الذات

(٦٤) انظر د. محمد عوض محمد: محاضرات عن فن المقالة الأدبية، ص ٣

(٦٥) انظر د. زكي نجيب محمود: جنة العبيط، ص ١٤

بكل ما فيها من أوجه النقص وأوجه الكمال؛ لأن طبيعة الشعر المنظوم تدعو إلى التسامى، ولكن (موتيني) أراد أن يسكب نفسه بكل ما فيها على القرطاس. إذن فقد أراد للقصيدة الغنائية أن تُنثر، أراد قصيدة غنائية تتراخى أوتارها، فكانت له بهذا التحوير المقالة الأدبية. فالمقالة الأدبية في صميمها إذن قصيدة غنائية سيقّت نثراً لتتسع لما لا يتسع له الشعر المنظوم من بعض عناصر الذات^(٦٦).

أما الدكتور عبد اللطيف حمزة فيرى في هذه العلاقة بين المقالة والقصيدة رأياً مصطبغاً بصبغته الصحفية؛ فالقصيدة لديه إنما هي مقال منظوم لا منشور، به يخاطب الشاعر الجماهير، ويحرص على أن يكون صدى لعواطفهم ومشاعرهم، وصورة من رأيهم وفكرتهم. وبهذا وحده يضمن الشاعر لقصيدته السيرورة والذبوع.

وتلك هي الغاية التي من أجلها تُنشر قصيدته في الصحيفة ليقرأها أكبر عدد من الناس.^(٦٧)

ولعل القصيدة الشعرية حاكت المقالة الأدبية في ظاهرة (اتخاذ العنوان)؛ فقد كان الشاعر القديم يسوق قصائده في (باب الغزل) أو (باب المدح) أو (باب الزهد) أو (باب الفخر) بدون عنوان خاص لكل قصيدة. أما الشاعر الحديث فقد حرص على أن يجعل لكل قصيدة من قصائده عنواناً خاصاً بها كما في المقالة. وأصبحت لغة القصيدة في الأدب الحديث لغة قريية من لغة المقالة الأدبية من حيث اعتماد الشاعر الحديث على اللفظ المأنوس المعبر، والبُعد عن اللفظ الغريب المهجور.

ويخصى الدكتور محمد عوض محمد أوجه الشبه بين المقالة الأدبية والقصيدة في أربعة أوجه: -

- كلاهما قد يطول أو يقصر، ولكن الطول عادة محدود يحده الموضوع.

- كلاهما يلبس ثوباً من الجمال الفني، وينتقى له اللفظ الذي يلائم المعنى ويجمّله.

(٦٦) انظر د. زكى نجيب محمود: فنون الأدب، ص ٦٢

(٦٧) انظر د. عبد اللطيف حمزة: الصحافة والأدب في مصر، ص ٦٩

- كلاهما يعبر عن إحساس الكاتب أو الشاعر، ويفصح عما يجيش ب صدره من عاطفة، أو ما يمر به من تجربة خاصة، أو فكرة يريد أن يعبر عنها تعبيراً مؤثراً.

- كلاهما يعالج موضوعاً واحداً محدود المدى؛ بحيث يمكن أن يستخدم فيه جميع وسائل التعبير والتأثير حتى تظهره واضحاً رائعاً.

ومن الجائز بالطبع ألا تستوفي القصيدة أو المقالة بعض هذه الصفات، ولكن هذا أمر يجوز في جميع ضروب النتاج الفني. ولكن خصائص كل نوع إنما تتقرر حسب النماذج الكاملة، كما أن العبرة في وصف أى كائن من الكائنات هي بالمثال الكامل الذى لا ينقصه عضو من الأعضاء، أو جارحة من الجوارح.^(٦٨)

وعلاقة المقالة الأدبية بالقصة تأخذ عدة أشكال، فالمقالة بمرونتها تتسع لأن يورد كاتبها قصة قصيرة في سياق مقالته يستميل بها قارئه، ويستعين بواسطتها على توضيح فكرته، أو بيان غرضه وهدفه، أو التمهيد لما يدعو إليه، فمثلاً في مقالة بعنوان (في سوق البغال) يقول الكاتب: - «حدثني صديق إنجليزى كان ضابطاً في البحرية إبّان الحرب عن زميل له صوّحت به خطوب البحر إلى جزيرة نائية في عرض المحيط هدى، لم يزد سكانها فيما أرى عن بضع مئات، اختلفت طبائعهم عن طبائعه، ولسانهم عن لسانه، لكنه كان في خبرته بالحياة فسيح الأفق. بحيث لم يدعش لاختلاف الشعوب في طرائق العيش، وأساليب الفكر والتعبير..... إلخ»^(٦٩)

وهناك شكل أدنى اهتم به بعض الباحثين، وهو شكل «المقالة القصصية» يفصح عنه الدكتور شكرى محمد عياد في مجال كلامه عن روفد القصة القصيرة، فعند من بين هذه الروايف «المقالة القصصية»، ورأى أن بدراسة هذا الرافد «تتسع أمامنا مادة البحث اتساعاً كبيراً؛ فإن محاولة إحياء المقامة وتطويرها قد وقفت عند جهود معدودة، ثم لم تلبث أن ذابت في الأشكال الأدبية الجديدة.

(٦٨) انظر د. محمد عوض محمد: محاضرات عن فن المقالة الأدبية، ص ٥، ٦

(٦٩) د. زكى نجيب محمود: حنة العبيط، ص ٥٧

أما المقالة فقد كانت هي الشكل الأدبي الرئيسى طوال العصر الحديث، تلقت الدفعة القوية الأولى من يد جمال الدين الأفغانى مرتبطة بدعوته الشعبية؛ إذ كانت هي الوعاء الذى صُبَّت فيه أفكار الإصلاح والنهضة، وعُولجت قضايا الحكم والسياسة، وارتبطت فى نموها بنمو الصحافة، فانصرفت إليها كتابات تلاميذ الأفغانى: محمد عبده، وعبد الله النديم، وإبراهيم المويلحى، وأديب إسحق.

ثم مع ظهور النزعة الرومنسية وُجدت المقالة الوجدانية، وكان علمها المنفلوطى. ومع تنوع فنون الكتابة السياسية وُجدت الصورة القلمية عند البشرى. ومع الاهتمام بالدراسات الأدبية وُجدت المقالة النقدية عند طه حسين والعقاد والمازنى وهيكىل.

ولكننا هنا لا نؤرخ ولا نخصى أسماء، يكفى أن نقول إن المقالة بقيت إلى عهد قريب غالبية على إنتاج معظم الأدباء الذين يُقام لهم وزن. ثم إن مرونة شكل المقالة - على عكس المقامة - تجعل الآثار الأدبية التى تقف فى مكان ما بين القصة القصيرة والمقالة كثيرة جدا^(٧٠).

ويبرز لنا تساؤل عن الصلة بين المقالة الأدبية والمقامة، وهل يمكن أن تكون المقامة بمثابة مقالة قصصية؟^(٧١)

وحتى نجيب عن هذا التساؤل ينبغى لنا أن نُعرِّف بالمقامة

المقامة اسم للمجلس أو الجماعة من الناس. سُميت مقامة من المقام، أى مكان القيام؛ لأنها تُذكر فى مجلس واحد يجتمع فيه الجماعة لسماعها. وهى نوع من الحكايات القصيرة تُروى على لسان أحدهم، وبطلها رجل أحكم التحايل، وقصر همه على تحصيل الطفيف من الرزق، ويوصف عادة بالدهاء والتكديّة. وتعتمد المقامة على الخيال فى تأليف حوادثها. وترمى إلى غاية تعليم اللغة، وسرد الموعظة، ووصف الأشياء، والنقد الاجتماعى والأدبى. وتدور فى

(٧٠) د. شكرى محمد عياد: القصة القصيرة فى مصر: دراسة فى تأصيل فن أدبى، القاهرة، معهد

البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٨، ص ١٠١

(٧١) يرى عباس العقاد أن المقامة مقالة قصصية لوحظ فيها تجديد الإنشاء. انظر كتابه: يسألونك، ص

الغالب على حادث عادى فيه بطل وراوية، مع العناية فى إيرادها بالعبارات الجزلة والصناعة البديعية.

وقد ظلت المقامة زمنا طويلا أنموذج الإنشاء عند المتأدبين، ثم دالت دولتها بزوال دولة السجع، وشيوع النثر المطلق فى الكتابات الأدبية الحديثة.

ونستطيع بعد هذا التعريف الوجيز بالمقامة أن نقول إنه ليست هناك صلة بين المقامة وبين المقالة الأدبية بخصائصها الحديثة المعروفة.

وعلاقة المقالة الأدبية بالتراجم تمثلت بصورة واضحة فى شكل (مقالة التراجم) التى يعمد فيها كاتب المقالة إلى رسم صورة لشخصية من الشخصيات من الراوية التى يراها جديرة بالتوضيح والإبانة، أو إيراد جوانب من الشخصية يعمل على إبرازها فى حيز المقالة، مثل مقالات عباس العقاد بمجلة المجلة فى عامى ١٩٦٢، ١٩٦٣ عن على يوسف، ومصطفى لطفى المنفلوطى، وأحمد لطفى السيد، ومحمد فريد وجدى، ومحمد المويلحى، ومصطفى كامل، والدكتور يعقوب صروف، وجورجى زيدان، وطائفة أخرى من الشخصيات.

فهو على سبيل المثال يتحدث عن طريقة الشيخ على يوسف فى عمله الصحفى، وكيف كان يرتجل صناعته الصحفية فى كل شىء، فى التقاط الأخبار، وفى جمع الآراء، وفى تحرير المقالات، وفى سياسة الجمهور، وسياسة ولاية الأمور. ويعطينا العقاد مفتاح هذه الشخصية النادرة فى كلمة واحدة هى (العصامية) حيث تصل هذه العصامية أحيانا إلى حدود المغامرة.^(٧٢)

وينتهى العقاد إلى رأى فى طريقة على يوسف فى كتابة المقالة فيقول: «أما المقالة فهى الصحيفة المختارة على مائدة الشيخ على يوسف بغير جدال. وقد تُكتب المقالة فى موضوعها بأسلوب أجمل من أسلوبها، وعلى نمط من اللفظ والمعنى أبلغ من نمطها فى لفظها ومعناها، ولكن مقالة (على يوسف) هى مقالة على يوسف التى لا يكتبها غيره، ولا يؤدى الغاية منها أحدٌ كما يؤدىها بقلمه ورأيه؛ فهى من الكَلِمِ المفصّل على حسب قياسه جملة جملة وسطراً سطرّاً من

(٧٢) انظر عباس العقاد فى مقالة بعنوان: على يوسف، مجلة المجلة، العدد ٦٧، أغسطس ١٩٦٢، ص ٣،

فاتحتها إلى ختامها. وليست من الكَلِم (المجهَّز) على قياسه ولو على وجه التقريب الذى يحكمها إحكام التفصيل^(٧٣).

كما قدم لنا العقادُ الكاتبَ المنفلوطى من جانب تأثير كتبه فى الشباب، واختيارهم لتعبيراته وصوره فى موضوعات الإنشاء، وتأثرهم بنهايات أبطاله فى كتبه، حيث يسود البكاء، ويشيع الانكسار أمام قوى البشر. وكيف كان لذلك تأثيره السلبى على الشباب من الناحية التربوية.

ولكن العقاد لم يقتصر فى مقاله على هذا الجانب الذى يُحسب على المنفلوطى ، بل كشف عن زاوية فى أسلوب المنفلوطى تُحسب له، وهى أن الرجل «يُعرف بمكانته الأدبية العامة، فلا يُعرف له نظير بين أعلام الأدباء الناثرين من مطلع النهضة الكتابية قبل مولده إلى ما بعد وفاته؛ فليس بين أدبائنا الناثرين من استطاع أن يُقرب بين أسلوب الإنشاء وأسلوب الكتابة كما استطاع صاحب (النظرات) و(العبرات)، فرمما ذهب القصد فى الكتابة بجمال الإنشاء فى أساليب الناثرين المجيدين، ورمما ذهب الأسلوب الإنشائى الجميل بالمعنى المقصود فى كتابة أدباء الفكر والتعبير، ولكن المنفلوطى - قبل غيره - هو الذى قارب بين الجمال والصحة على نسقه الفصيح فى سهولة لفظ، ووضوح معنى، وسلاسة نغم، وهو لا يبلغ مبلغ التبرج بالصقل والزينة، ولا يترك التبرج والزينة ترك المتقشف فى مسوح النساك^(٧٤).

أما صلة المقالة بفن الخطابة - إن كانت هناك صلة - فتظهر فى أن الأخيرة تُلقى شفاهة على مسمع من مخاطبين، مستهدفة التأثير فيهم بمختلف الوسائل اللفظية والبيانية والعاطفية، وحُسن استعمالٍ لطبقات الصوت رفعاً وخفضاً، بصرف النظر عن تدوينها قبل الإلقاء أو بعده.

والخطابة بهذا المفهوم تختلف عن المقالة بخصائصها السابقة. ولكن الدكتور محمد عوض محمد يرى رأياً آخر مؤداه «أن كثيراً من الخطب سواء ألف أو ارتجل يمتاز باللفظ المختار المنتقى، ويهدف إلى التأثير الشديد فى النفس، ويعبر

(٧٣) المصدر السابق، ص ٤

(٧٤) عباس العقاد: مقالة بعنوان (مصطفى لطفى المنفلوطى كما عرفته)، مجلة المجلة، العدد ٧٠، نوفمبر

عن مشاعر المتكلم في أمر يهمه. وهذه الأمور تجعل تلك الخطب لا تكاد تختلف في معدنها وجوهرها عن المقالات المحبّرة المدوّنة»^(٧٥).

أما مقارنة فن المسرحية بفن المقالة فتتمثل في أن المسرحية يُعنى فيها برسم الشخصيات، وإجراء الحوار، وإبراز الصراع في بنائها وتطوره من خلال المشاهد حتى ينتهى بها كاتبها إلى نهايتها المقصودة. وهذه الخصائص بعيدة عن خصائص المقالة التي تبينها فيما سبق.

وهناك بعض جوانب الاختلاف بين المقالة الأدبية والخاطرة يوضحها الدكتور عز الدين إسماعيل فيذكر أن الخاطرة من الأنواع النثرية الحديثة التي نشأت في حِجر الصحافة أيضاً، ولكنها تختلف عن المقالة من عدة وجوه: فالخاطرة ليست فكرة ناضجة وليدة زمن بعيد، ولكنها فكرة عارضة طارئة. وليست فكرة تعرض من كل الوجوه، بل هي مجرد لمحة. وليست كالمقالة مجالاً للأخذ والرد، ولا هي تحتاج إلى الأسانيد والحجج القوية لإثبات صدقها، بل هي أقرب إلى الطابع الغنائى. ثم مجال الاختلاف في الطول؛ فالخاطرة أقصر من المقالة، وهي لا تتجاوز نصف عمود من الصحيفة، وعموداً من المجلة. وإذا ذُكرت الصحيفة والمجلة فإنما تُذكر لتقرير أن الخاطرة في وقتنا قد أصبحت عنصراً صحافياً تطالعه في كل جريدة وكل مجلة. والصحف تعطى هذا العنصر عنواناً ثابتاً؛ لأن الخاطرة تكون عادة - وهي تختلف في ذلك أيضاً عن المقالة - بلا عنوان. من هذه العناوين الثابتة: فكرة، نحو النور، شموع تحترق، ماقل ودل.. إلخ.

وهذا النوع الأدبى يحتاج من الكاتب إلى الذكاء، وقوة الملاحظة، وبقظة الوجدان. وهو يتمشى مع الطابع الصحافى العام في الاهتمام بالأشياء الصغيرة السريعة، وتفضيلها على الكتابات المطوّلة. وأهميتها تأتى من أنها تستطيع لفت القارئ إلى الأشياء الصغيرة في الحياة والتي لها دلالة كبيرة.^(٧٦)

(٧٥) د. محمد عوض محمد: محاضرات عن فن المقالة الأدبية، ص ١٠
(٧٦) انظر د. عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه، دراسة ونقد، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٦٥، ص

فالحظارة إذن يمكن أن تكون نواةً لمقالة تنمو في نفس الكاتب حتى تكتمل
وتصبح مقالة بخصائصها المعروفة.

ومن الممكن أن نقول في نهاية عرضنا للصلة بين المقالة الأدبية وفنون الأدب
الأخرى بأن من الطبيعي أن يفيد كل فن أدبي من الفنون الأدبية الأخرى، وأن
تكون هناك نقاط التقاء بينها إلى جانب مظاهر الاختلاف.

الموضوع في المقالة

تُعد فكرة الموضوع في المقالة الأدبية صلبها وأساسها، تخرج منها تفرعات تسير في اتجاهات متعددة لتلتقى عند غايتها المقصودة، وتشكل بذلك الهيكل العام للمقالة، وهي تتخذ شكلها التصميمي التفصيلي من خيال الكاتب وتصوره، ومن حرارة عاطفته، ومن روح أسلوبه الذي تتوقف عليه عملية الثراء اللفظي.^(٧٧)

ومجالات الموضوع كثيرة لا حصر لها؛ فهي مجالات الحياة بمختلف أشكالها، وتعدد ألوانها، من حوادث يومية، ومشكلات بيئية، وقضايا اجتماعية، وهموم إنسانية. وموضوعات المقالة قد تكون موضوعات جدية يهدف كاتبها إلى معالجة قضية من القضايا، أو طرح مشكلة من المشكلات، وبيان أبعادها، وإبراز آثارها، وتصوره لطرائق حلها. وهذا النوع من الموضوعات كثير لا يمكن حصره.^(٧٨) وقد تكون موضوعات تحمل طابع الفكاهة والدعابة التي كثيرا ما تكشف عن العيوب والمثالب بطريقة ذكية من الكاتب لا تصدم حسَّ القارئ ولا تجرح مشاعره، بل تلفته إلى بعض المظاهر، وتثير فيه الرغبة إلى النظر إليها برؤية جديدة. وقد ظهرت الأخيرة بوضوح عند كل من عبد العزيز البشري، وأمين الريحاني، وإبراهيم عبد القادر المازني الذي يصور حالته النفسية ومعاناته الصادقة وهو يبحث عن موضوع للمقالة فيقول:

«أقوم من النوم لأكتب، وآكل وأنا أفكر فيما أكتب، وأنام فأحلم أني اهتديت إلى موضوع، وأفتح عيني فإذا بي قد نسيت، ويضيق صدري فأتمرد وأخرج إلى الطرقات أمتع العين بما فيها مما تعرضه الحياة. فإذا بي أقول لنفسى: إن كيت وكيت مما تأخذه العين يصلح لأن يكون مقالا، ثم أتوقف وأكر

(٧٧) انظر د. محمد كامل جمعة: الأسلوب، ص ٣٦

(٧٨) سيرد في القسم الثاني من البحث نماذج من هذه المقالات الجدية عن قضية فلسطين.

راجعاً إلى مكتبي لأكتب. وشراً ما في الأمر أن يجيء إلى صديق فيقول: أقترح عليك أن تكتب في كيت وكيت. وتحاول أن تفهمه أن كيتا وكيتا هذين لا يحركان في نفسك شيئاً، ولا يهزان منها وترأ، فلا يفهم لأنه على الأرجح يظن أن الكتابة لا تكلف المرء جهداً، وأن القلم هو الذي يجري وحده، أو أنه لا دخل للنفس ولا للعقل فيما يخطه». ^(٧٩)

ويمكننا أن نقول إن موضوع المقالة أهم عنصر فيها. والكاتب الموفق في اختيار موضوعه يكسب اهتمام قارئه وعنايته منذ البداية. لذلك يحسن بكتاب المقالة أن يكون يقظاً دائماً لأي خاطرة تخطر له، أو فكرة تدور بخلدته ليشكل منها موضوعاً يمكن أن يتناوله في مقاله.

ونجاح الموضوع يتوقف على قيمته في حد ذاته، كما يتوقف على صدق كاتبه وإيمانه بما يكتب، وعلى طريقة أدائه، وعرضه لعناصره وترتيبه لها، وعلى توقيته في نشر الموضوع أحياناً؛ لأنه قد يحدث صداه المطلوب في وقت بعينه. وكلما وُفق الكاتب في هذه العناصر كانت المقالة جيدة ومؤثرة.

(٧٩) إبراهيم عبد القادر المازني: صندوق الدنيا، القاهرة، مطبعة الترقى، ١٩٢٩، ص ١٢، ١٣.

الأسلوب في المقالة

ليست الكتابة الأدبية ألفاظاً وجملاً مختارة للتعبير عن الخواطر والمعاني وحسب، بل هي إلى جانب ذلك طريقة عرض الكاتب لأفكاره وتنسيقه لها، وإبرازها في أحسن صورة، وأقواها تأثيراً في النفس. ولا يتحقق ذلك بالتصنع في الكتابة والتكلف فيها، بل يكون بإفراغ الكاتب لأفكاره في قوالب تشعر القارئ بالقوة، وتكشف عن مشاعره في إطار جميل.

وهذه العناصر تشكل في مجموعها أسلوب الكاتب. ولكل كاتب - بطبيعة الحال - طريقته في تناول موضوعه، وتنسيق أفكاره، واختيار ألفاظه وتعبيراته. والمقدرة على تكامل هذه العناصر، والبراعة في تآزرها ملكة لدى الأديب الموهوب. وهذه الملكة لا تتحقق بدراسة الأساليب، ولا تنهياً بالبحث في طرائقها، وإن كان هذا عاملاً في تنميتها لدى الكاتب الموهوب. ويمكننا أن نصفه في هذه الحالة بأنه صاحب (ذوق مثقف).

وقد وردت في خصوصية أسلوب الكاتب، وارتباط الأسلوب بصاحبه، وتعبير هذا الأسلوب عن شخصية صاحبه في قوة ووضوح عدة آراء طريفة، منها رأى بيفون Buffon الذى يرى أن من الهين أن تُنتزع المعارف والحوادث والمكتشفات، أو أن تُبدل، بل كثيراً ما تترقى إذا ما عالجها مَنْ هو أكثر مهارة من صاحبها. كل تلك الأشياء خارجة عن ذات الإنسان، أما الأسلوب فهو الإنسان عينه، لذلك تعذر انتزاعه أو تحويله أو سلخه.

ورأى ماكس جاكوب Max Jacob في أن جوهر الإنسان كامن في لغته وحساسيته.

ورأى كلودال Claudel وخلاصته أن الأسلوب نغم شخصية الإنسان، مثلما لصوته نبرة لا تختلط بنبرة أصوات الآخرين.

بل يذهب بـ Proust إلى أبعد من ذلك فيرى أن الأسلوب بصمات تحملها الصياغة، فتكون كالشهادة التي لا تمحى.^(٨٠)

ولا نعدو الصواب إذا قلنا إن دراسة أسلوب المقالة يفيدنا كثيراً في الوقوف على خصائص الأسلوب في الفنون النثرية الأخرى؛ لأن المقالة هي اللون الغالب في الكتابات النثرية، كما مارس كتابتها أصحاب هذه الفنون النثرية الأخرى. وبهنا أن نشير في هذا المجال إلى أن أسلوب المقالة الأدبية ينبغي أن يتميز بالعاطفة التي تؤثر في عبارات المقالة تأثيراً واضحاً يبدو في صورها وتراكيبها. وليس معنى ذلك أن تخلو المقالة من الأفكار القيمة والحقائق المهمة. كلاً فإن الفكرة والحقيقة عنصران في الأدب لا ينبغي إغفالهما، وهما في النثر ألزم لذاتهما أولاً، ولأنهما يعززان العاطفة ويعثان فيها القوة ثانياً، فتحمل الألفاظ والتعبيرات إلى جانب العواطف الإنسانية والمشاعر الحية محصولاً من المعاني العقلية.

ونحن نستجيب عادة للأسلوب الأدبي في المقالة بكياننا وإحساسنا الخاص لأن «استجابتي للشيء هي استجابتي وحدي دون سواي، أختلف فيها عما يستجيب به كل إنسان خلاي، بمقدار ما تختلف طبائعنا ومشاعرنا بعضها عن بعض؛ فقد تجد الرجلين يتحدثان فيما يبدو لك أنه شيء واحد، وإذا الحديثان يختلفان، وإذا وجهتا النظر لا تلتقيان. وإذن فهما يتحدثان في حقيقة الأمر عن شيتين ماداما ينظران إلى الشيء من وجهتين، أو مادام للشيء الواحد في نفسيهما أثران مختلفان؛ فإذا أراد كاتب من هذين أن يعبر عما في نفسه فماذا هو صانع؟ لابد له أن يعبر بشيء نفهمه جميعاً، ثم يضيف إليه أو يلونه ويصبغه بلون نفسه وصبغة نفسه.

وعلى كل حال لابد لأسلوبه - إذا ما أراد التعبير عما في نفسه إزاء الشيء المعين - أن يُخرج مكنون نفسه، ويُفصح عن حقيقة حسّه، مهما يكن في ذلك من ضروب الخلاف بينه وبين سائر الناس. ولعل هذا ما نريده حين نقول: الأسلوب هو الإنسان. وفي هذه العبارة وحدها ما يدل على استحالة أن

(٨٠) انظر عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، نحو بديل ألسني في نقد الأدب، الدار العربية

للكتاب (ليبيا-تونس) ١٩٧٧، ص ٦٣-٦٦

نقيم ميزانا دفنا نفرق به بين الأساليب فنقول هذا أسلوب من الطراز الأول، وذاك أسلوب من الطراز الثاني، وهكذا، إذ يستحيل علينا أن نبين ما يريد الكاتب أن يفصح عنه إلا خلال لمحات شخصية دقيقة ينثرها هنا وهناك».^(٨١)

وبصفة عامة ينبغي على كاتب المقالة الأدبية الجيدة أن يُحسن التعبير عما يعتمل في نفسه، ويحرك وجدانه، ويشغل ذهنه، مع عاطفة صادقة فيما يكتب، وذوق لبق فيما يتناول، فبتأزر هذه العناصر يمكن أن يتحقق للكاتب ما يتطلع إليه من النتائج الجدير بالقراءة، الهادف نحو المثالية.

وهناك صفات ثلاث للأسلوب تتحقق بتكاملها سمات المقالة الأدبية الجيدة

هى: -

أولاً: الوضوح:

لا يقتصر الوضوح على التعبير فقط، بل يشمل أيضاً وضوح الفكر، وذلك لكى تكون المقالة مفهومة للقارئ ثم مؤثرة فيه. ومما يساعد على تحقيق الوضوح فى التعبير وفى الفكر حُسْن الاختيار للكلمات، ووضعها فى المكان المناسب من الجملة بما يؤدى إلى الترابط المحكم الدقيق فى المعنى، والاستخدام الواعى للتعبيرات الواردة حتى يتحدد المعنى، ولا يتشعب ذهن القارئ أمام تعبير يحتمل أكثر من معنى، مع حفظ التوازن بين الفكرة وكسائها اللفظى. والكاتب الناجح حريص على ألا يضحى بواحد منهما على حساب الآخر

ثانياً: القوة:

القوة التى ينبض بها أسلوب الكاتب برهان على عاطفة قوية تعتمل فى نفسه، وتشعل الحرارة فى ألفاظه. وهو فى ذلك مدرك - بطبيعة الحال - للمعنى الذى يعبر عنه، ومؤمن بفكرته التى يعرضها، فيصبح الكاتب فى ذلك مقنعا لقارئه ومؤثرا فيه، وكأنما يأخذ على عاتقه أن يجعل القارئ يشعر بما يشعر، وأن يؤمن بما يؤمن. والكاتب فى سبيل ذلك يعمل على استخدام كل كلمة وكل شكل من أشكال الكتابة حتى يصل إلى ما يريد.

(٨١) د. زكى نجيب محمود: فنون الأدب، ص ٥٧

ومن الوسائل التى تحقق صفة القوة تلك الجمل القصيرة التى لها طابع القوة أكثر من الجمل الطويلة؛ لأنها تترك الانطباع السريع اللماح. وهناك التعبيرات الخاصة التى نجد لها أثراً أقوى من تلك التعبيرات العامة الشائعة. وهناك استخدام الصفات التى تترك فى نفس القارئ أثراً جمالياً إلى جانب قوة دلالتها. وهناك الصور التى يثيرها الكاتب فى خيال القارئ، ويجعله يحس بشعوره ويستجيب له وهو يقرأ أثره الأدبى.

ولا حدّ للوسائل والظلال التى تؤثر على القارئ بطرق مختلفة؛ فهى فضلاً عما تخلعه من جمال على الفكرة وتوقظ حواس القارئ تكسب الأسلوب قوةً وجلالاً.

ثالثاً: الجمال:

من اليسير أن يدرك القارئ قيمة صفة الجمال عندما يرى الفكرة قد عبّر عنها كاتبها بوضوح كامل، وتأثير قوى، ومع ذلك يلمح فى تفاصيل الجملة ما يسيء إلى الذوق الأدبى كتعبير قلق، أو تراكيب غير متناسقة، أو ألفاظ غير متألّفة الصوت ولا متوافقة النغم على نحو يسيء إلى طريقة الأداء، ولو لم يعرف القارئ لذلك تفسيراً، أو حتى يقف على سبب هذا التنافر. ذلك أن القارئ يشعر شعوراً مبهماً بأن فى التعبير شيئاً من القلق والنشوز. ويترتب على ذلك إعاقة للمعنى عن السريان والتسلسل.

والجمال فى الأسلوب لا يحتم - بطبيعة الحال - استخدام كل الأصباغ الفنية والحلى التعبيرية؛ فاستخدام وسائل الزينة فى الأسلوب وتحليته بها أمر موكل إلى انطباعات الكاتب النفسية وذوقه الأدبى. وترجع أهمية صفة الجمال فى الأسلوب إلى إرضاء رغبة القارئ فى الاستمتاع بالنص الأدبى وتنمية الذوق الأدبى عنده.

وإذا تأملنا كل صفة من هذه الصفات الثلاث منفردة نُحِيلُ إلينا أنها كل شىء فى الأسلوب، وأنه لا ينهض إلا بها، ولكن النظرة الشاملة الفاحصة تؤدى بنا إلى حقيقة جوهرية فى بلاغة الأسلوب، وهى أن كل صفة مهما بلغت قوتها لا تُجزى عن الصفتين الآخرين، فلا بد إذن من تآلف هذه الصفات الثلاث حتى يصدر عن هذا التآلف أسلوب أدبى جيد مشرق الديباجة، كما يصدر عن

الأوتار المتعددة للآلة الموسيقية اللحن الجميل الرائع، كما أنه لا يمكن الفصل بين صفات الأسلوب إلا من الناحية النظرية وفي مجال الدراسة فقط.^(٨٢)

ومجال التمييز بين الأساليب، بل نسبة النص لصاحبه من غير ذكر اسمه مع النص أمر ممكن للقارئ الواعي المتمتع بالحس الأدبي، ذى الخبرة الطويلة بمختلف الكتابات، وطرائق الكتاب في تناولهم لموضوعاتهم وعرضهم لها، والسمات الأسلوبية الخاصة بكل كاتب.

وقد تناولت الأسلوب دراسات عديدة، وتشعبت مباحثه، وتخصص فيه كثيرون حتى أصبح علماً له قواعده ومناهجه. ومؤسس هذا العلم في الغرب هو شارل بالي Charle Bally (١٨٦٥ - ١٩٤٧ م). وهذا العلم يختلف عن دراسة اللغة في أنها تقتصر على المادة اللغوية، أما علم الأسلوب فيتضمن ما يتعلق باللغة، وما يتعلق بعلم الأصوات، والصرف والتراكيب والدلالات والتأثيرات الوجدانية للظواهر اللغوية. والهدف من هذا العلم تقديم صورة شاملة لأنواع المفردات والتراكيب، وما يختص به كل منها من دلالات.^(٨٣)

كما خضعت دراسة الأسلوب وتحليله ومعالجة مشكلاته النظرية والتطبيقية للوسائل الإحصائية الحديثة، بغية توظيف بعض العلوم لخدمة الأسلوب وفق مناهج علمية منضبطة.^(٨٤)

وبقيت كلمة أخيرة في مجال الأسلوب وهي أن الدعوة في بداية هذا القرن كانت موجهة إلى تحرير الأسلوب من أثقال المحسنات البديعية. وقد أثمرت هذه الدعوة ثمارها فتخفف الأسلوب من هذه المحسنات شيئاً فشيئاً حتى اختفت

(٨٢) لمزيد من التوسع انظر:

د. محمد كامل جمعة: الأسلوب من ص ٧٥ إلى ص ٩٢

— أحمد الشايب: الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٢

(٨٣) للتوسع في التعريف بعلم الأسلوب انظر:

د. شكرى محمد عياد: مدخل إلى علم الأسلوب، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٩٨٢، ط أولى.

— عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، نحو بديل ألسنى في نقد الأدب. (مرجع سابق).

(٨٤) انظر د. سعد مصلوح: الأسلوب، دراسة لغوية إحصائية، الكويت، دار البحوث العلمية، مطبعة حسان بالقاهرة، ١٩٨٠

من أساليب الكُتّاب. ثم غلبت السهولة في الأسلوب على كثير مما يُكتب الآن من مقالات ينسبها أصحابها إلى المقالات الأدبية، وهى فى حاجة ماسة للعناية بجماليات الأسلوب وقوته ووضوحه، وصوره الموحية المثيرة لخيال القارئ والموقظة لحسه، ولا تحجب فى الوقت نفسه أفكار الكاتب، بل تعمل على وضوحها وجلالتها لدى القارئ.

تنظيم المقالة من حيث الشكل إلى المقدمة والموضوع والخاتمة

سبق أن عرضنا - في تحديد خصائص المقالة الأدبية - رأى الدكتور زكى نجيب محمود في تنظيم المقالة، وشرطه لها أن تكون على غير نسق من المنطق، وأن تكون خالية من التبويب والتنظيم. وعرفنا رأى عمر الدسوقي المخالف لهذا الرأى، وتمسكه بضرورة التنظيم في المقالة. كما قلنا إنه ليس من السهل أن نحدد للمقالة الأدبية نهجاً معيناً. ونضيف هنا أن تنظيم المقالة من حيث الشكل إلى المقدمة والموضوع والخاتمة إنما هو - وإن كان تقسيماً يتفق مع الأصول الطبيعية - تقسيم تقريبي خاضع دائماً لنزعات الكاتب، وما تمليه عليه سليلته الفنية؛ فليس من اللازم أن يكون لكل مقالة مقدمة، فیدخل الكاتب فى صميم موضوعه مباشرة، وأيضاً قد لا تكون للمقالة خاتمة، وإن كان عمر الدسوقي يرى غير ذلك فيقرر: «أن المقال قد يحتاج إلى مقدمة، وقد لا يحتاجها، ولكن لا بد له من نتيجة أو خاتمة».^(٨٥)

وقد يلجأ الكاتب أحياناً إلى مخاطبة القارئ في أى جزء من أجزاء المقالة بقصد مشاركته إياه، كما يُدخل في ثنايا مقالته أشياء صغيرة من طرفة أو لمحة ذكية تزيد فيها من نبض الحياة، وتبعث بين سطورها روح التشويق. وخصائص أجزاء المقالة - إن كانت واضحة فيها - تتمثل فيما يلي: -

خصائص المقدمة:

ينبغي أن تكون المقدمة - إن وجدت في المقالة - جاذبة للقارئ، حاملة له على متابعة المقالة إلى نهايتها، فمثلاً في مقدمة مقالة بعنوان (في سوق البغال) يقول كاتبها: «قد كنت أعلم حقاً وصدقاً وبقينا أن الليالى من الزمان حُبلى يلدن كل عجيبة، لكننى لم أكن أعلم أن عجائب الزمان قد تهرأ بالخيال ماشطح منه وما جمع، حتى سمعت أن بغلاً يحتج ويحاج كما يفعل عباد الله من

(٨٥) عمر الدسوقي: في الأدب الحديث، الجزء الأول، ص ٤٠٩

بنى الإنسان..... الخ»^(٨٦) فهذه مقدمة مشوقة للقارئ، باعثة له على متابعة المقالة.

كما يحسن أن تكون المقدمة مشتملة على ما يمهد لموضوع المقالة، وما يعدُّ القارئ لتلقى الموضوع واستيعابه. وسواء أكانت المقدمة قصيرة أو طويلة فينبغي أن يكون أسلوبها متضمنا عنصري التشويق وتهيئة ذهن القارئ وعاطفته للموضوع.

والطريقة الأثيرة لدى كثير من الكُتَّاب أن يُصدِّروا مقالاتهم بحادثة صغيرة، أو قصة قصيرة، أو خاطرة مناسبة حتى يتقبل القارئ المعنى المنشود براحة وقناعة. ولتكن الوسيلة ما تكن فلن يتطلب الأمر إلا أن يكون هدف المقدمة إثارة التوقع لدى القارئ، وضمان انتباهه ومتابعته.

خصائص الموضوع:

موضوع المقالة أساسها وجوهرها، ويشغل - بطبيعة الحال - مساحة أكبر من المقدمة والخاتمة وهو يبدأ بنهاية المقدمة التي مهدت له.

ويأخذ الكاتب في معالجته للموضوع بعرض مألديه من أفكار وتصورات وخواطر بالطريقة التي يراها مؤثرة في قارئه ومقنعة له بشتى الوسائل والطرق من براهين وأدلة، أو شواهد وأمثلة، أو وصف وتحليل، ولديه متسع لكل هذا من غير نهج محدد يلزمه إلى أن يصل إلى الخاتمة، أو ينتهى من مقالته.

خصائص الخاتمة:

يهدف الكاتب من إيرادها - إن حرص على هذا - إلى تجميع عناصر المقالة في صورة تتميز بالتركيز والتثبيت في نبرة حية تبرز روح المقالة كلها. وعندما تنتهى المقالة فلا حاجة إذن إلى شيء آخر لم يرد في المقدمة والموضوع.

(٨٦) د. زكى نجيب محمود: جنة العبيط، ص ٥٧

المقالة الذاتية والمقالة الموضوعية

تتيح المقالة لكتابتها - من حيث هي لون أدبي مرن - أن تظهر شخصيته واضحة جليلة في حالات شغونها وشجونها، ونظراتها وخطراتها. كما تتيح له أن يكون الموضوع الذى يتناوله في الكتابة شغله الشاغل في التفكير في عناصره، وفي التنسيق بينها، وفي موقفه من الأفكار التى يتضمنها الموضوع. ومن هنا تُقسَّم المقالة إلى المقالة الذاتية والمقالة الموضوعية.

وقد احتفظت المقالة الذاتية بالمعنى الأدبي والتاريخي لاصطلاح المقالة؛ إذ كانت المقالة في أصلها تُكتب لتوفر قيمة أدبية خاصة، أى أن كاتبها كان يصطنع النثر الفنى وسيلة للتعبير عن إحساسه بالحياة وتجربته فيها. وهى من هذه الوجهة تقابل القصيدة الغنائية.^(٨٧)

وأهم مانشير إليه في مجال بيان سمات المقالة الذاتية أنها - إلى جانب العناية بإبراز تجربة صاحبها وبيان إحساسه الذاقى - تعتمد إلى حد كبير على أسلوبها؛ فالبراعة في الأسلوب سبب قوى من أسباب المتعة التى يجدها القارئ في قراءتها. وهى وإن كانت تعتمد - إلى حد ما - على قيمة أفكار كاتبها إلا أن الأفكار ليست وحدها كل شيء؛ فالعمل الأدبي لا يعتمد على صحة الأفكار من الناحية العقلية والعملية - وإن كان ذلك مهما - بقدر ما يعتمد على طريقة عرضها وتحليلتها في صور أدبية رائعة.^(٨٨)

أما المقالة الموضوعية فتكون شخصية الكاتب فيها متوارية وراء موضوعه، واهتمام الكاتب فيها يكون موجهها لموضوعه وفكرته. ويرى الكاتب في هذه الحالة أن جلاء الموضوع، وشرح الأفكار في عبارة كاشفة محددة المعالم، وإيراد الجمل في سلاسة يُعَدُّ إرضاءً لعقل القارئ وفكره، ومتعةً لمشاعره وأحاسيسه. وقد يجمع الكاتب في مقالته بين الذاتية والموضوعية، فيعمد حين يعرض

(٨٧) انظر د. محمد يوسف نجم: فن المقالة، ص ٩٨

(٨٨) انظر المصدر السابق، ص ١٢٩

لقضية أو ظاهرة إلى علاج عناصرها الموضوعية بصبغة ذاتية خاصة به.

ونماذج المقالة الذاتية كثيرة لا حصر لها، من بينها على سبيل المثال مقالة بعنوان (البرتقالة الرخيصة)^(٨٩)، ومقالة بعنوان (الكبش الجريح)^(٩٠)، ففي كلتا المقالتين تظهر شخصية الكاتب بوضوح في عدة مواضع.

ونماذج المقالة الموضوعية متعددة أيضا ولا يمكن حصرها، ومن بينها على سبيل المثال مقالة بعنوان (أعذب الشعر أصدق)^(٩١)؛ فنجد فيها شخصية الكاتب متوارية وراء الأفكار والمعلومات التي تزدهم بها المقالة، وأيضا مقالة بعنوان (بيضة الفيل)^(٩٢)، فشخصية الكاتب فيها غير ظاهرة، وكان دوره هو دور القاص للجدل العلمى الذى يسود جو المقالة.

ومن نماذج المقالة التى يجمع فيها كاتبها بين الذاتية والموضوعية مقالة بعنوان (شوقى فى الميزان بعد خمس وعشرين سنة)^(٩٣) ومقالة بعنوان (الشخصية الحافظة)^(٩٤)؛ فقد عرض كاتبهما عناصر موضوعية تناولت شاعرية كل من الشعارين أحمد شوقى وحافظ إبراهيم، وكان هذا العرض الموضوعى مصطبغا بصبغة ذاتية للكاتب إزاء كل منهما، وخلاصتها التقليل من شاعرية شوقى وإبداعه، والإشادة بحافظ وشخصيته.

(٨٩) للدكتور زكى نجيب محمود فى كتابه جنة العبيط، ص ١٦

(٩٠) المصدر السابق، ص ١٠٧

(٩١) المصدر السابق، ص ١٥١

(٩٢) المصدر السابق، ص ٦٧

(٩٣) المقالة لعباس محمود العقاد، مجلة الهلال، المجلد ٦٥، الجزء ١٠، ١٩٥٧، ص ٨

(٩٤) المقالة لعباس محمود العقاد، مجلة الهلال، يوليو، ١٩٦٣، ص ٨

عنوان المقالة

عنوان المقالة له تأثيره في إثارة اهتمام القارئ ولفت انتباهه؛ فالعنوان الجيد يدل على روح الكاتب ووجهته، ويحمل القارئ على استطلاع مقالته والاستمتاع بها.

وكاتب المقالة الناجح يحرص على أن يكون اختياره لعنوان مقالته جذاباً يحرك جانب التطلع عند القارئ، ويشحذ التوقع الممتع لديه، ويترك انطباعات قوية في نفسه، فيدفعه إلى أن يكشف ما وراء هذا العنوان.

ويصل الكاتب إلى اختيار العنوان الجيد بوسائل متعددة من بينها المهارة في اختيار الألفاظ، والإيماءات اللمحة، والإشارات اللبقة التي تدل على ذكاء صاحبا. وهذا يتطلب من الكاتب البعد عن العناوين التعليمية المباشرة، مع المحافظة على عنصر الصدق في العنوان لكي يحتفظ الكاتب بثقة قارئه.

وقد يستمر العنوان الواحد لسلسلة من المقالات في الموضوع الواحد مثل عنوان (قصر الدوبارة بعد يوم الأربعاء) للشيخ علي يوسف في صحيفته (المؤيد)؛ فقد كان عنوانا لعدد من المقالات صورت حوادث هذه الفترة وبلغت أربع عشرة مقالة.

وقد يتخذ الكاتب عنواناً عاماً ثابتاً يكتب تحته مقالات كثيرة بعناوين فرعية متجددة مثل العنوان العام الثابت (في ضوء المصباح) للدكتور زكي نجيب محمود في مجلة «الثقافة» القديمة، ومثل عنوان (خواطر حرة) لعبد الرحمن الشرقاوي في صحيفة «الأهرام» حديثاً.

وألوان العناوين في المقالة لا يمكن حصرها، ولكننا نورد هنا - على سبيل المثال - طائفة منها؛ فمنها ما يكون جزءاً من بيت شعري مثل عنوان (عيد بأية حال عدت)،^(٩٥) ومنها ما يدفع إلى استثارة العواطف مثل عنوان (ويحكم

(٩٥) مقالة للدكتور محمد عوض في مجلة الثقافة، العدد ٥٠٢، بتاريخ ١٠ من أغسطس ١٩٤٨

هبوا)،^(٩٦) ومنها ما يكون مثلاً مثل عنوان (على نفسها جنت براقش)،^(٩٧) ومنها ما يرد في صورة تساؤل مثل عنوان (ماذا استفدنا من حرب فلسطين؟)،^(٩٨) ومنها ما يحمل فكرته بوضوح مثل (لست أومن بالإنسان)،^(٩٩) ومنها ما هو تقرير لخلاصة المقالة مثل (أعذب الشعر أصدق)،^(١٠٠) ومنها ما يحمل عنواناً مباشراً مثل (مركب النقص عند اليهود)،^(١٠١) ومنها ما يتضمن سخرية كاتبه مثل (يد من حديد في ذراع من جريد)،^(١٠٢) و(على فيض البخيل)،^(١٠٣) ومنها ما هو طريف ومشوق، ويحمل القارئ على التساؤل، ويُعدُّ عنواناً جذاباً، مثل عناوين: (رجل يخرج النور من فمه)،^(١٠٤) و(جنة العبيط)،^(١٠٥) و(بيضة الفيل)،^(١٠٦) و(قصاصات الزجاج)،^(١٠٧) و(الجمال اليهودي وسم الخياط)،^(١٠٨) و(الشیطان رجل الساعة).^(١٠٩)

-
- (٩٦) مقالة لمحمود محمد شاكر في مجلة الرسالة، ٧٥٧، بتاريخ ٥ من يناير ١٩٤٨
- (٩٧) مقالة لنقولا الحداد في مجلة الرسالة، العدد ٧٦٧، بتاريخ ١٥ من مارس ١٩٤٨
- (٩٨) مقالة للدكتور أحمد أمين في مجلة الثقافة، العدد ٥٠٠، بتاريخ ٢٧ من يوليو ١٩٤٨
- (٩٩) مقالة للدكتور زكي نجيب محمود في كتابه (جنة العبيط)، ص ١١٤
- (١٠٠) مقالة للدكتور زكي نجيب محمود في كتابه (جنة العبيط)، ص ١٥١
- (١٠١) مقالة لعلی رفاعة الأنصاري في مجلة الثقافة، العدد ٥٠٢، بتاريخ ١٠ أغسطس ١٩٤٨
- (١٠٢) مقالة لعباس محمود العقاد في صحيفة البلاغ اليومية بتاريخ ٥ من يوليو ١٩٢٨. وهي تعقب من العقاد على قول محمد محمود رئيس وزراء مصر آنذاك: «إنه سيضرب بيد من حديد».
- (١٠٣) مقالة لعباس محمود العقاد في صحيفة الأساس بتاريخ ٢٩ من أكتوبر ١٩٥٠، وهي عن مصطفى النحاس زعيم الوفد حينئذ. وقد عمد العقاد في عنوان المقالة إلى تحويل المثل المشهور «على فيض الكريم».
- (١٠٤) مقالة للدكتور إسحق موسى الحسيني (عن الشيخ محمد عبده) في مجلة المجلة، العدد ٤٤، بتاريخ أغسطس ١٩٦٠
- (١٠٥) مقالة للدكتور زكي نجيب محمود في كتابه الذي يحمل العنوان نفسه، ص ٤٩
- (١٠٦) مقالة في المصدر السابق، ص ٦٧
- (١٠٧) مقالة في المصدر السابق، ص ٧٣
- (١٠٨) مقالة لعلی حيدر الركابي في مجلة الرسالة، العدد ٩٧١ بتاريخ ١١ من فبراير ١٩٥٢
- (١٠٩) مقالة للدكتور أحمد أمين في مجلة الهلال، الجزء الثالث من المجلد الستين، بتاريخ مارس ١٩٥٢

بين المقالة الأدبية والصحافة

يتبين لمتتبع تاريخ المقالة في أدبنا العربى أنها وليدة الصحافة التى ظهرت فى مطلع النهضة الحديثة. ولا نود أن نعرض لتاريخ المقالة مع الصحافة وتطورها وأعلامها فذلك يحتاج لبحث مستقل، بل لعدة بحوث.

ولكن ما هو جدير بالإشارة إليه فى هذا المجال أن كلا من المقالة الأدبية والصحافة تأثرت بالأخرى، ويتضح هذا فى النقاط الأساسية التالية: -

أولاً: تأثير الصحافة فى المقالة:

١ - إتاحة الفرصة للتعدد فى موضوعات المقالة، والغزارة فى أفكارها، والتنوع فى مادتها.

٢ - توظيف التعبير، وتطوير اللغة لتنقل أفكار الكاتب لقرائه فى سهولة ويسر.

٣ - ظهور طبقة ممتازة من الكتّاب الذين عُنى بفن المقالة، وجعلوها وسيلة مهمة لنقل أفكارهم وشيوع آرائهم بين القراء.

٤ - تنشيط الصحافة للمقالة على نحو ساعدها على التطور، وأتاح لكتّابها الفرصة لنشر مقالات تجمع بين الطرافة والجدية، وطرافتها بملاحقتها للتطور الفكرى الدائم، وجدّيتها - أو صلابة مادتها - أهلتها للبقاء وعدم سرعة تحولها إلى وثائق تاريخية، مثلما تتحول المواد الصحفية الأخرى ذات الطابع الإخبارى الخاص. ولأهمية ما أودعه فيها أصحابها من فكر وإبداع يحرسون على حفظها من الضياع بجمعها بعد ذلك فى كتب.

ثانياً: تأثير المقالة فى الصحافة:

١ - لما كان كتّاب المقالة الأدبية عادة من رجال الأدب والفكر الدارسين للغة العربية، وطرائق تعبيرها فقد كان من الطبع أن يعمد كتّاب هذا الفن الأدبى الذى يُنشر فى الصحف إلى إيجاد أسلوب عربى جديد يقوم على الترسل

والوضوح والسرعة والتركيز. وهى الصفات التى تكسب أسلوب المقالة أصالته. وقد كان لهذا الأسلوب أثره الواضح فى رفع مستوى لغة الصحافة. ٢ - أسهمت المقالة الأدبية فى خدمة التعبير الصحافى بأن خلصته من آفة الأفكار الشائعة غير المحددة المنعكسة فى اللغة، وقربته من أسلوب الدقة فى التعبير، نتيجة تحديد الأفكار ووضوحها فى ذهن الكاتب قبل الشروع فى كتابته.

٣ - خلصت المقالة بعض التعبيرات الصحفية من سمة التجميع الذى يؤدى فى الغالب إلى الاستدراك والحشو، ووجهتها وجهة التركيز والبناء والترابط الفكرى والفنى فى تناول الموضوع وفى التعبير عنه.

٤ - ساعدت المقالة الأدبية - بما قدمته من أساليب راقية لكتاب ميرزىن - على تنمية الحس الأدبى لدى قراء الصحافة بتعودهم قراءة التعبيرات السليمة ومطالعة الصور الأدبية الجميلة.^(١١٠)

(١١٠) وفى الدكتور محمد مندور هذه الجوانب بتفصيل فى محاضراته عن المقالة الأدبية بمعهد البحوث والدراسات العربية فى العام الجامعى ١٩٦٥/٦٤.

القسم الثاني وظيفة المقالة الأدبية في العصر الحديث

وظيفة المقالة الأدبية في العصر الحديث

النظرة الشاملة لحياتنا الأدبية ولفنون الأدب في العصر الحديث تُبين لنا أن المقالة كانت ولا تزال اللون الغالب في النتاج الأدبي، والفن الذي تناولته بكثرة أقلام الأدباء المحدثين، والقالب الذي عولجت من خلاله مختلف القضايا والظواهر الأدبية؛ فالعدد الكبير من أمهات الكتب التي أسهمت في التطوير الأدبي، وفي البحث عن أصالتنا الخاصة من خلال التيارات التي تمر بها حياتنا الأدبية، وفي تناول قضايانا الأدبية والنقدية. هذا العدد من الكتب الذي نهض بهذه الوظيفة يضم مجموعة من المقالات نشرها كُتّابها أول الأمر في المجالات والصحف، ثم جمعوها في كتب أصبحت اليوم جزءاً من تراثنا الحديث، ولعبت أكبر الدور في تطوير حياتنا الأدبية والفكرية^(١). وبذلك أصبحت المقالة الشكل الأدبي الغالب في العصر الحديث.

ولا تخفى علينا المعارك الأدبية التي استعرت بين الأدباء، وشحذت فيهم الهمم، ونشطت الأقلام، وأبرزت تيارات، وحددت اتجاهات، وقدمت

(١) من هذه الكتب على سبيل المثال وليس الحصر:

لعباس محمود العقاد:

-الفصول، خلاصة اليومية، ساعات بين الكتب، مطالعات في الكتب والحياة، شعراء مصر

وبيئاتهم في الجيل الماضي. وغيرها

ولإبراهيم عبد القادر المازني:

-حصاد الهشيم، قبض الريخ. وغيرها

وللدكتور طه حسين:

-حديث الأربعاء، في الصيف، من بعيد. وغيرها

ولمصطفى صادق الرافعي:

-تحت راية القرآن، وحي القلم. وغيرها

ولأحمد حسن الزيات:

-من وحي الرسالة

وللدكتور محمد حمدين هيكل:

-ثورة الأدب

وللدكتور أحمد زكي:

-ساعات السحر. وغيرهم

مدارس كان لها أكبر الأثر في تطوير حياتنا الأدبية والنقدية، مثل معارك عباس محمود العقاد، ومصطفى صادق الرافعي، والدكتور طه حسين، وإبراهيم عبد القادر المازني، وعبد الرحمن شكري، والدكتور محمد حسين هيكل، والدكتور زكي مبارك، وأمين الخولي، وغيرهم.

فكانت المقالة هي الفن المفضل لعرض كل واحدٍ منهم لوجهة نظره والدفاع عنها، وتفنيد آراء خصمه وبيان خطئها، بصرف النظر عما شاب بعضها من روح نزالية عنيفة.

كما أن المقالة كانت أسبق من الشعر غالباً في عرض القضايا الوطنية والمشكلات الاجتماعية ومعالجتها. ثم جاء الشعراء بعد ذلك وجعلوا من أنفسهم الصف الثاني من صفوف المصلحين في المجالين الوطني والاجتماعي؛ فكان كلما ارتفع صوت من أصوات المصلحين في مقالة برأى من الآراء، أو بفكرة من الأفكار سمع الناس بعد ذلك صوت الشاعر يصوغ في قلبه الشعرى تلك الآراء وهذه الأفكار.

وآية ذلك أننا نرى في دواوين الشعر الحديث أبواباً خاصة بالاجتماعيات والوطنيات. وإذا ذهبنا نؤرخ لما اشتملت عليه هذه الأبواب من القصائد وجدنا أنها نُشرت على أثر مقالة أو مقالات في هذا المعنى.^(٢) فكانت المقالة تسمح للفكرة بأن تظهر ثم تُصطفى بعد ذلك.

كما كانت المقالة بمثابة مدرسة تربت فيها جمهرة كبيرة من الناشئة الأدبية حتى صقلت مواهبهم، وتحددت ملامح كتاباتهم. ولا يقتصر الأمر على الناشئة وحدهم بل عالجها كثير من الأدباء المشهورين ونبغ فيها عدد غير قليل منهم، مثل: عباس محمود العقاد، وإبراهيم عبد القادر المازني، وأحمد حسن الزيات، والدكتور طه حسين، والدكتور أحمد أمين، وعبد العزيز البشري والدكتور زكي مبارك، ومصطفى صادق الرافعي، ومصطفى لطفى المنفلوطي، والدكتور محمد حسين هيكل، والدكتور زكي نجيب محمود، وشكيب أرسلان، وجبران خليل جبران، والدكتور يعقوب صروف، وفرح أنطون، وعمر فاخوري، وميخائيل نعيمة.

(٢) انظر د. عبد اللطيف حمزة: الصحافة والأدب في مصر، ص ٦٧ وما بعدها.

بل كان من هؤلاء من تأسست مكانته الأدبية على كتابة المقالة وإجادته فيها. ولم تكن معرفة القراء به، وتقديرهم لأدبه من خلال فن آخر من الفنون الأدبية من شعر أو قصة أو مسرحية أو تراجم.

وأبرز هؤلاء أحمد حسن الزيات، وعبد العزيز البشري، ومصطفى صادق الرافعي، والدكتور أحمد أمين، والدكتور زكي مبارك، والدكتور زكي نجيب محمود.

ونستطيع أن نقدر مدى تأثير المقالة في حياتنا الأدبية والنقدية لو تمثلناها خالية من هذه المقالات التي تضمنت آراء الدكتور طه حسين في الأدب وتذوقه، ومواقف عباس العقاد في النقد وفي القضايا الفكرية، ودفاع أحمد حسن الزيات عن البلاغة وجماليات التعبير، واعتزاز مصطفى صادق الرافعي بالتراث العربي وصوره البيانية، ودعابة عبد العزيز البشري وصوره الفكاهية، وشفافية الأسلوب لدى ميخائيل نعيمة ونظراته الإنسانية، وعناية الدكتور أحمد أمين بالفكرة، وتأثير إبراهيم عبد القادر المازني في تطوير الأسلوب، وإسهام الدكتور محمد مندور في التعريف بالقضايا النقدية، ودعوة الدكتور زكي نجيب محمود إلى الأخذ بالمنهجية والتفكير العلمي، وحرص الدكتور عبد القادر القط على العناصر الجمالية في النقد.

أكان يصبح هذا كله في مثل الذي له الآن من الغنى والثراء والانتشار والتأثير لولا هذه المقالات الأدبية التي تولت أمره؟

فكانت المقالة الأدبية إذن عاملاً مهماً من عوامل تنشيط الحركة الأدبية والفكرية لا يقل عن أى عامل آخر من العوامل التي يُكثر المؤرخون للأدب والفكر في الحديث عنها. ويمكننا أن نقول باطمئنان بأنه مامن شاعر، أو كاتب قصة، أو مبدع مسرحية، أو منشئ ترجمة إلا وكتب المقالة الأدبية وله فيها نتاج لا يمكن إغفاله أو التغاضي عنه.

فجميع هذه المجالات والأنشطة للمقالة الأدبية توضح لنا إذن وظيفتها في العصر الحديث، وتقف بنا على المعالم الرئيسة لهذه الوظيفة.

وبطبيعة الحال لا يمكن استيفاء وظيفة المقالة إزاء كل قضية أو كل ظاهرة في

بحث واحد، ولهذا سنقتصر على بيان وظيفتها إزاء قضية واحدة، وفي زمن محدود، وفي إطار معين حتى يمكننا الحصول على نتائج مقنعة.

فأما القضية فهي قضية فلسطين، تلك القضية التي فرضت نفسها على العالمين العربى والإسلامى، وهزّت الوجدان فيهما، واستقطبت اهتمامهما منذ أكثر من ثلاثين عاما وحتى يومنا هذا. وأما الزمن المحدود فهو عام ١٩٤٨م، وهو أهم أعوام القضية. وأما الإطار المعين فهو أشهر المجلات الأدبية في مصر آنذاك^(٣) والتي لا يُنكر دورها في تطوير حيواتنا الأدبية والنقدية والفكرية على السواء.

(٣) فسحت المجلات الأدبية في مصر صفحاتها للكُتّاب العرب جميعهم من مختلف أنحاء الوطن العربى. وبذلك تكون هذه المجلات قد عكست بصدق ووضوح موقف المقالين العرب من قضايا عديدة، وأبرزها قضية فلسطين. كما سيتضح في نهاية البحث، وفي القائمة البليوجرافية الملحقه به.

مثال تطبيقي لوظيفة المقالة الأدبية في العصر الحديث

المقالة الأدبية وقضية فلسطين في عام ١٩٤٨م

استأثرت قضية فلسطين باهتمام الأدب العربي، وهزت حوادثها وجدانه، وحركت فيه مشاعره وأحاسيسه، وشحذت عقله وفكره، فراح كل أديب يُعبر عن إحساسه بها ورأيه فيها من خلال فنه الذي ارتضاه، وبطريقته الخاصة في انفعال وحماسة، أو في هدوء وروية، ويتناول جانباً أو جوانب من القضية مسلطاً عليها بقلمه ما يصور الشاعر، ويفسر الحوادث، ويوضح الطريق، ويحذر من الأخطار، ويستثير الحمية، ويقوى العزائم، ويؤكد الواجبات. وبتتبع المقالة الأدبية في أشهر المجلات الأدبية في مصر آنذاك تبين لنا أنها تناولت الجوانب التالية من القضية^(٤).

١ - بيان جانب الدين من القضية:

أ - تقول إحدى المقالات مستصرخة العرب في أسلوب حماسي غاضب يُعبر عن عاطفة جياشة:

«انظروا! فهذه فلسطين قد اجتمعت عليها الأمم على أن تُمكن فيها لأنذال يهود مكانا يتبوأه طغاة المال، وطواغيت الفجور، وأبالسة الشر، وقد أخذوا بمدونهم بالمال والسلاح ليقهروكم وتكون لهم الكبرياء في الأرض.... أيتها العرب! أيها المسلمون إنها ساعة في تاريخكم ليس بعدها إلا النصر أو الهزيمة. وكل امرئ منكم يحمل تبعه لا يسقطها عنه عذر، ولا يعذره أداء حقها شيء. وأنتم أربعمئة مليون نسمة لا عصابة قليلة في الأرض؛ فإن كنتم صفا واحدا وبنينا مرصوصا فاعلموا أنه لن يغلبكم شيء، ولن تهد هذا البنيان قوة مهما

(٤) ما يرد بين القوسين شاهد على الجانب الذي نتناوله. وقد أوردناه بنصوصه التي تقدم أقلاماً مختلفة بأساليب متعددة، وتضم أفكاراً متنوعة وطرائق شتى في عرضها وفي رؤيتها. وذلك لكي تكون الصورة معبرة وصادقة.

بلغت على ظهر هذه الأرض، فتماسكوا وتقاربوا وتعاونوا، ولا تدعوا ثغرة يدخل منها عليكم عدوكم لينقض هذا البنيان الذى بناه آبائكم وأسلافكم فى آلاف السنين، وأنتم الأعلون إن شاء الله، وليهود الذلة والمسكنة مضروبة عليهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها»^(٥)

ب - ومقالة أخرى ذات أسلوب هادئ تصور نظرة استخفاف الغربيين بالمسلمين، وتوضح الطريق لأبناء الأمة الإسلامية، حتى تنتصر لنفسها من أهل البغى، تقول المقالة:

«هاهى ذى تُقسَّم فلسطين وبها إحدى القبلتين وثانى الحرمين قسمة ضيزى بين العرب الأصلاء واليهود الدخلاء، وتحمل الصهيونيين على ضمائها وبواخرها من أركان الأرض إلى فلسطين لينصبوا فيها الصليب للحق كما نصبوه من قبل لعيسى، ويبدروا فى القدس الشقاق للناس كما بذروه فى يثرب لمحمد!

ليت شعرى ما جريرة العرب والمسلمين على الأمم الأوربيين والأمريكيين؟ هل جريرتهم عليهم أنهم فتحوا العالم وطهَّروه، وأعلنوا دين الله ونشروه؟ قد يكون مع الفتح ترة العنصرية، ومع نشر الدين تعصب الكنيسة، ولكن ترة المقهور وتعصب الكاهن لم يكونا وحدهما السبب فى ذلك الاستخفاف الدولى بالإسلام والعروبة. إنما السبب الأقوى فيما أعتقد أن المسلمين اعتمدوا على الحق دون القوة، وعوَّلوا على القول لا على الفعل، واعتقدوا فى الشخص لا فى المبدأ، ونسوا أن دينهم قرآن وسيف، وتاريخهم فتح وحضارة، وشرعهم دين ودنيا، وحربهم جهاد وشهادة، وزعامتهم خلافة وقيادة.

فهل آن لأبناء الأمة الوسطى ووراث الدعوة الكبرى أن يذكروا ما نسوا، ويجددوا ما طمسوا، ويعلموا أن الحق هو القوة، وأن القوة هى الوحدة، وأن وحدة العرب كانت معجزة دين التوحيد، قام عليها تاريخهم القديم، ولن يقوم على غيرها تاريخهم الجديد!»^(٦)

(٥) محمود محمد شاكر (ويحكم مُبَوَّأ)، مجلة الرسالة، العدد ٧٥٧، ٥ من يناير ١٩٤٨، ص ٢١-٢٣

(٦) أحمد حسن الزيات: المسلمون فى معترك الخطوب، مجلة الرسالة، العدد ٧٥٧، ٥ من يناير ١٩٤٨،

٢ - إظهار المشاعر العربية نحو النكبة:

صوّرت المقالة الأدبية مشاعر الكُتّاب إزاء نكبة فلسطين؛ فعبّر كل كاتب عما يجول بخاطره؟ وما يعتمل في نفسه، وما نحسب هذه المشاعر إلا مشاعر العرب والمسلمين جميعهم.

أ - تقول إحدى المقالات بعد سقوط حيفا في أيدي الصيهاونين: «والآن ماذا بقى من حيفا هذه التى عرفنا. ماذا أبقت منها بلاغات الزعماء، وتصريحات الرؤساء، وأحقاد قادة العرب.

ياويلى حين أتمثل أى شىء أبقت الحادثات من حيفا. إنى لأجد النار التى تكويننى، والسياط التى تؤذينى. إنى أهرب من نفسى؛ لأنى أخجل من نفسى أن أقول الذى كان. ليس فى يدى هذه الأداة الطيعة التى تنساب فوق هذه الأوراق؛ فقد كفرت بالأفلام والأوراق.

وماذا يقول الكاتبون إن كتبوا. ويح الذين يسألونهم أن يكتبوا، كأنما يسألونهم أن يقصوا عليهم قصة من تاريخ قديم لأمة منقرضة، يزنون حواشيها ببلاغة القول، ويفيضون على أطرافها بريق الأدب، ويذهبون ببعض مواقفها فى شطحات الخيال، وينمقون نظمها بروعة الأساليب، ثم يدعونهم أن ينعموا بما فيها من فن أو بيان، والمصيبة التى تحل فى فلسطين مصيبتهم والموطن الذى يُغتصب وطنهم، والأعراض التى تُنتهك أعراضهم، ومواكب الذين أُجلوا عن ديارهم أمام أعينهم فى كل عاصمة من عواصم العرب، كأنما لا يزال هناك حاجة إلى حمية تُستثار، وحماسة تُوقظ، ومقالات تُكتب وتُنشر»^(٧).

ب - وتحمل مقالة أخرى شحنة من المشاعر الفياضة، والأحاسيس الملتاعة فتقول: «أكثر ما يتمثل فى الخيال، أو يخطر على البال سوانح هى بالشعر أشبه، وإلى الغناء أقرب، فإذا همّ باقتناصها القلم اندلعت من جوانب النفس زفرات وقودها الصيهاونيون واللاجئون والحرب والهدنة وترومان وستالين وبرنادوت ومجلس الأمن وهيئة الأمم، فأنصرف عن الغناء إلى الرثاء، وانتقل من الضحك إلى البكاء، وأهم بتلحين الألم، وتوقيع الأنين، فتنبت من نواحي العقل

(٧) شكرى فيصل: عار لا يُمحي، مجلة الرسالة، العدد ٧٧٦، ١٧ من مايو ١٩٤٨، ص ٤٥٦

أصوات تستنكر وتستنفر وتقول: لقد خطبنا حتى جفّ الريق، وكتبنا حتى نفذ المداد، وبكيننا حتى نضب الدمع. فما الذى أغنى عنا كل أولئك؟.... إن نكبة فلسطين ومحنة العرب قد غطتا على كل حاسة، وغلبتا على كل عاطفة، فالفكر فيهما والحديث عنهما ملء القلوب وشغل الألسن».^(٨)

٣ - بيان صفات الصهيونيين:

حرصت المقالة الأدبية على أن تُبين صفات الصهيونيين، وتوضح سماتهم النفسية، وتكشف خباياهم، وتفصح عن مآربهم، بهدف إعطاء القارئ العربى صورة حقيقية عنهم مستقاة من تاريخهم البعيد وتاريخهم القريب وواقعهم الراهن.

تقول المقالات:-

أ - «هم ليسوا خصما شريفا يحارب طبقا لأصول الحرب وقواعدها. وقد عُرف الصهيونيون منذ نشأتهم بأنهم لا يراعون عهداً ولا ذمة، وأنهم لا يتورعون عن ارتكاب أفظع الشرور والآثام. ولذلك لم تلبث الحرب أن كشفت عن دناءة وخسّة لا يعرف الدهر أحط منها؛ إذ قبض على جنودهم وهم يلقون المياه الملوثة بالجراثيم فى آبار الشرب بالقرب من غزة!، وإذ جعلوا من الراية البيضاء - وهى شعار السلم والأمان - أداة للخيانة والغدر».^(٩)

ب - «ما ينقم اليهود من العرب إلا أنهم حموهم وأحسنوا إليهم، وفسحوا لهم فى ديار العرب، يعيشون أحرارا، ويغشون معابدهم كما يشاءون، ويتلون أمورهم الدينية دون حرج.

وعاش اليهود فى كنف العرب أحرارا فى فلسطين وغير فلسطين، وتبجحوا فى الأقطار العربية خاصة والإسلامية عامة، وساروا سيرتهم فى عبادة المال والتوسل إليه بكل الوسائل فوجدوا مرتعاً خصباً ومتقلباً فسيحاً. وقد بلغوا فى أقطار العرب مناصب عالية..... ثم ضرب الدهر ضرباته، ودار الفلك

(٨) أحمد حسن الزيات: مالى لا أكتب؟ مجلة الرسالة، العدد ٧٩٣، ١٣ من سبتمبر ١٩٤٨، ص

(٩) د. محمد عوض محمد: بين السلم والحرب، مجلة الثقافة، العدد ٤٩٣، ٨ من يونيو ١٩٤٨، ص ٢

دوراته، وجاء اليهود إلى فلسطين يزعمون أصدقاءهم في ديارهم، ويستعينون على حُمايتهم بالأُمم التي كرهتهم وأذلتهم وشردتهم؛ ففقدوا بأعمالهم صداقة العرب، ولم يكن لليهود صديق سواهم في هذا العالم.

وينسى اليهود تاريخهم وتاريخ العرب كله، ويرمون العرب بكل ما علمتهم أوروبا من عدوان، وبكل ما في سجايهم وتاريخهم من ختل وعداوة للبشر جميعاً إلا من كان يهودياً.^(١٠)

ج - «اليهود هم هم منذ القدم إلى اليوم، سواء كانوا من سلالة إبراهيم، أو من سلالة أشكيناز.»^(١١)

[ثم أوضح الكاتب كثيراً من الفظائع والمخازي التي وردت في التوراة، وبين أنها من وضعهم، وأن الله تعالى يبرأ مما جاء فيها؛ لأن الله لا يوحى بمثل هذه المخازي ولا تكون قصص المخازي كتاباً مقدساً].^(١٢)

د - «إن الصهيونيين قد رأوا منذ زمن أن من الملائم لحطمتهم أن يكون بينهم طوائف ذات أسماء خاصة يصفونها بأنها من الخوارج، يَكِلُون إليها ارتكاب الجرائم البشعة لكي يستطيعوا أن يتبرأوا منها، وأن يتظاهروا بالبحث عنها والقبض عليها. وقد يتسلمون منها خطابات التهديد والوعيد إلى غير ذلك من الحيل الشفافة التي لا تتخدع حتى السذج من الناس.»^(١٣)

هـ - «إن اليهودي لا يعرف وطناً غير صهيون، ولا يَألف جنساً غير يهودا، فمن يزعم غير ذلك فليسأل كل أمة في الأرض، وكل عصر في التاريخ ماذا جنت اليهودية على الإنسانية؟ ألم يكن لها في كل ثورة وقود من الدسائس والأضاليل؟ ألم يكن لها في كل عقيدة مفسدة من البدع والأباطيل؟ ألم يكن لها في كل دولة جاسوسية تؤثر العدا والحرب؟ ألم يكن لها في كل أمة أسواق

(١٠) د. عبد الوهاب عزام: (الفريقان المتحاربان في فلسطين، الكرم واللؤم)، مجلة الرسالة العدد ٧٨٨،

٩ من أغسطس ١٩٤٨، ص ٨٨٥

(١١) [الأشكينازيم: اليهود الغربيون، والسفارديم: اليهود الشرقيون].

(١٢) نقولا الحداد: (هؤلاء هم اليهود قديماً وحديثاً وأولاً وآخراً)، مجلة الرسالة، العدد ٧٨٩، ١٦ من

أغسطس ١٩٤٨، ص ٩١٥-٩١٧.

(١٣) د. محمد عوض محمد: (مكافأة الغدر)، مجلة الثقافة، العدد ٥٠٩، ٢٨ من سبتمبر ١٩٤٨، ص

تنشر الغلاء والكرب؟ ألم يكن لها في كل مدينة «حارة» تشيع الفحش والفجور؟ ألم يكن لها في كل صحافة لسان يذيع البذاء والهُجر».^(١٤)

و - «اليهود كالحرباء يتلونون بكل لون لكي يصلوا إلى أغراضهم. فيمكن اليهودي أن يكون رأسماليا تارة واشتراكيا أخرى. ويمكن أن يكون أرسقراطيا أو ديمقراطيا، ويهوديا أو مسلما أو نصرانيا. يمكن أن يكون أى شيء إذا كان يظفر بالسيطرة».^(١٥)

٤ - التحذير من خطر الصهيونية على العروبة والإسلام:

ارتبط بيان صفات الصهيونيين، وكشف خباياهم ومعرفة أهدافهم بالتحذير من خطر الصهيونية على العروبة والإسلام. وقد ظهر هذا التحذير في صور شتى؛ تتجلى في النماذج التالية ففي النموذج (أ) تحذير من خطر النفوذ الإعلامى للصهيونية في العراق، وفي النموذج (ب) تحذير من خطر النفوذ الاقتصادي لهم في مصر، وفي النموذج (ج) عرض لصور بشعة من حرب الميكروبات التي لم يتورع الصهيونيون من شنها على العرب، وفي النموذج (د) تحذير حاسم للعواصم العربية إذا ما تخلفت عن أداء واجبها، وفي النماذج (هـ)، (و)، (ز)، (ح) بيان لخطر دولة الصهيونيين على المنطقة، وتحذير من طمعها في الدول العربية المجاورة، وتوضيح لنفوذ أهلها في الشرق والغرب على السواء.

ومما يثير الأسى في النفس أن كثيراً من هذه التحذيرات لم يُلتفت إليها؛ فكانت النتيجة ما نراه الآن من واقع مؤلم لا يرضى عنه عربى أو مسلم.

وإليك هذه النماذج من المقالات:

أ - «قرأت أخيراً أن في العراق حركة صحفية هائلة؛ فقد صدرت تصريحات لجرائد عديدة، وأُنبئت بصراحة أن لليهود نفوذاً كبيراً فيها. وإذا كان اليهود قد مدُّوا أنوفهم للجرائد العراقية فلا بدع أن يفعلوا هنا في مصر أكثر من

(١٤) أحمد حسن الزيات: (حكم من أحكام الله)، مجلة الرسالة، العدد ٧٩٧، ١١ من أكتوبر ١٩٤٨، ص ١١٤٢.

(١٥) نقولا الحداد: (اليهودية = الصهيونية = الشيوعية)، مجلة الرسالة، العدد ٧٩٩، ٢٥ من أكتوبر ١٩٤٨، ص ١١٩٩.

هذا وأجهر..... فإذا بقيت أصابع الأخطبوط الصهيوني تتغلغل في الرأي العام العربي أصبح العرب خُضَّعًا وسُجَّدًا عقلاً وإحساساً واقتصاداً للنفوذ الصهيوني».^(١٦)

ب - «هل يصدق القارئ الكريم أن أحد هؤلاء [يقصد كاتبُ المقالة بعضَ الوجهاء من ذوى النفوذ في مصر في ذلك الوقت] هو عضو في ٤٢ شركة، وأن وجيها عظيما يتقاضى من بعض الشركات ٢٢ ألف جنيه سنويا، ولا يتخللون من أنهم بنفوذهم الوهمي يُربِّحون هذه الشركات اليهودية الملايين».^(١٧)

ج - «ماذا يُفسر المدافعون عنهم تعمدهم تسميم الآبار في غزة بميكروب الكوليرا والطفيلويد لكي يباد الجيش المصري عن آخره. والله إن الذي لم يفعله هتلر بهم فعلوه هم بالعرب. تورع هتلر عن استعمال الغازات السامة وعن تلويث المياه بالميكروبات المرضية وأما هم فلا يتورعون».^(١٨)

د - «وليصين بغداد وعمان والقاهرة وبيروت ودمشق ومكة وصنعاء وغيرها من عواصم العرب ما أصاب القدس وحيفا إذا قالت كل أمة أو حكومة فيها: نفسى نفسى، وحسب كل جيش من جيوش العرب أن نصره أو هزيمته له وحده».^(١٩)

هـ - «هل عرف أولئك الذين لاموني فيما كتبت أن هؤلاء الصهيوينيين الذين قرَّع بهم العالم في الجرائد والبرلمانات لأجل هذه الفضاعات [يقصد كاتب المقالة ما ارتكبه الصهيوينيون في دير ياسين وفي بلدة ناصر الدين، وغيرها من جرائم وحشية] يستهزئون بهذا التفريع، ويفتخرون بهذه النذالة..... هؤلاء أيها العاذلون هم اليهود الذين يريدون أن ينشئوا دولة يهودية في فلسطين تكون

(١٦) نقولا الحداد: (الصحافة في الميثاق الصهيوني)، مجلة الرسالة، العدد ٧٧٤، ٣ من مايو ١٩٤٨، ص ٤٩٤.

(١٧) نقولا الحداد: (لو أصبح لليهود دولة)، مجلة الرسالة، العدد ٧٩٤، ٢٠ من سبتمبر ١٩٤٨، ص ١٠٥٨.

(١٨) نقولا الحداد: (ضربت عليهم الذلة والمسكنة)، مجلة الرسالة، العدد ٧٨١، ٢١ من يونيو ١٩٤٨، ص ٦٩١.

(١٩) عبد المنعم خلاف: (حديث إلى العرب)، مجلة الرسالة، العدد ٨٠٦، ١٣ من ديسمبر ١٩٤٨، ص ١٤٠٤.

دولة الدول الصهيونية التي تضع تحت أقدامها جميع دول العالم. هؤلاء أيها اللاعنون هم الذين يجب أن نجاورهم، ونعيش بين ظهرانهم عبيداً أذلاء إذا نجحوا. هؤلاء هم شعب الله المختار الذي يقول إن الجويم غير اليهود من جميع الأمم هم بهائم»^(٢٠).

و - «لقد أثبتت الحوادث التي تحتاج فلسطين الآن صحة ما كان يُقال ويُكتب عن أطماع اليهود في فلسطين والأقطار العربية الأخرى؛ فالصهيونية العالمية ومن ورائها اليهودية العالمية لا يقتصر طمعها على جزء من فلسطين ولا على فلسطين كلها لتكون لها دولة خاصة.

ولكنها تريد هذا الجزء المقدس من الوطن العربي الكبير لتتخذ منه مركزاً لتجمع اليهود، ولتركيز الاقتصاد اليهودي بمختلف نواحيه، ومنه يهاجم الصهيونيون الأقطار العربية اقتصادياً وحربياً، ومنه ثملاً الأسواق العربية بالمصنوعات اليهودية، ومنه ترحف الجيوش الجارة مجهزة بأحدث أنواع الأسلحة الفتاكة فتقتحم حدود فلسطين شمالاً وشرقاً وجنوباً، أو جهة من هذه بعد أخرى، فتحتل الأقطار العربية وتخضعها لمشيئتها.....

إن هذا الخضوع والموقف الذي وقفته الدول العربية بقبول الهدنة والانصياع لأوامر المستعمرين يزيل ما للدول العربية من مكانة بين الدول، ويفقد ما لها من هبة وكرامة.....

إن العاجز مع عصابات الصهيونيين لا يستطيع أن يأتي عملاً مع الآخرين»^(٢١).

ز - «إن قيام الدولة اليهودية في قلب العالم العربي والإسلامي إنما هو خطر داهم على مستقبل الأمم العربية والإسلامية، وعلى كيائها السياسي والاجتماعي والديني»^(٢٢).

(٢٠) نقولاً الحداد: (سياسة الصهيونيين المالية ونذاتهم)، مجلة الرسالة، العدد ٧٧٣، ٢٦ من أبريل

١٩٤٨، ص ٤٦٧، ٤٦٨

(٢١) د. يوسف هيكل: (التعبئة العامة)، مجلة الثقافة، العدد ٥١٦، ١٦ من نوفمبر ١٩٤٨، ص ٢٠١

(٢٢) محمد عبد الله عنان: (الخطر الذي نكافحه)، مجلة الثقافة، العدد ٤٩٥، ٢٢ من يونيو ١٩٤٨،

ح - «إن هذا النفوذ [يقصد الكاتب النفوذ الصهيوني في الشرق والغرب] هو الذى أعمى الأمريكان والروس معا ومعهم عشرات الدول الأوروبية عن مأساة العرب في فلسطين».^(٢٣)

ه - مناقشة حُجَّة اضطهاد اليهود وتفنيدها:

تناولت المقالة الأدبية - فيما تناولت من قضية فلسطين - موضوع اضطهاد اليهود بوصفه حُجَّة يحتجون بها، ويتخذونها ذريعة يتوسلون بها لتحقيق مآربهم، فناقشت المقالة هذه الحُجَّة وفندتها كما يظهر ذلك من النموذجين التاليين:

أ - «يدعى اليهود أن الذى حملهم على اختلاق دولة يهودية هو أنهم مضطهدون في كل مكان؛ لأنهم أقلية مسحوقة في كل مكان، فإذا صار لهم دولة لجأوا إليها فرارا من الظلم والاضطهاد.

إذا صدق زعمهم هذا فليعتبوا على ربهم لأنه صرح في القرآن الشريف أنهم: ضُربت عليهم الذلة والمسكنة. وليسألو ربهم يهوه رب الجنود لماذا ضربهما عليهم دون سائر البشر.

والله ما هم بمضطَّهدين بل هم مضطَّهدون. كيف يكونون مضطَّهدين وقد جمعوا ثروات العالم وبها يتحكمون بالضعفاء والمنكوبين..... العالم لا يضطَّهدهم ولكنه يكره أعمالهم وتصرفاتهم المناقضة للإنسانية، ألا يتساءلون فيما بينهم لماذا يكرههم جميع الأمم؟ في كل بلد أقلية فلماذا لا تشتكى هذه الأقليات من الاضطهاد؟

لماذا لا يعقدون مؤتمرا شاملا من أساطينهم من جميع جهات العالم لبحثوا سبب بغض العالم لهم فيزيلوا السبب، ويعودوا إلى حظيرة الأمم محبوبين مكرمين ككل أمة وشعب؟

لا نظنهم يجهلون سبب كره العالم لهم. إنهم يعلمون السبب، وهو أنهم يكرهون العالم كله؛ لأن كل من ليس يهوديا هو في نظرهم «جوييم» ومعناه في

(٢٣) عمر حليق: (الصهيونية هي الخطر الأول في حاضر الشرق العرى ومستقبله)، مجلة الرسالة، العدد

١٣٠٦، ١٣ ديسبر ١٩٤٨، ص ١٣٩٥

لغتهم نجس دنس رجس. وهم يتصرفون مع الناس بمقتضى هذه العقلية الخبيثة». (٢٤)

ب - «إني لأعتقد مخلصاً أن اليهود هم الذين يدعون الناس إلى اضطهادهم؛ فأنت تجد اليهودى يعيش في أسبانيا مثلاً، وينعم بخيراتها، ويتمتع بنفس الحقوق التى يتمتع بها الأسبانيون المخلصون، ومع ذلك فهو يدين بالولاء أولاً وأخيراً إلى هيئاته العالمية، ويؤثر مصالحها على مصالح البلد الذى رباه وأنشأه، وغذاه بخيراته، وأظله بحمايته». (٢٥)

٦ - إثارة موضوع اليهود المقيمين بالبلاد العربية

تشعبت من قضية فلسطين موضوعات كثيرة حفلت بها المقالة الأدبية. ومن بين هذه الموضوعات موضوع اليهود المقيمين بالبلاد العربية فألقت المقالة ضوءاً يكشف عن جوانبه، ويصر بعواقب الإهمال فيه، ويساعد في اتخاذ القرار المناسب لمن ييدهم اتخاذ القرار نحو هؤلاء اليهود. تقول المقالة:

أ - «يدعى اليهود المقيمون في مصر أنهم مصريون وطيون؛ فمن الظلم أن يُطلب منهم أن يجاروا إخوانهم الصهيونيين..... فإذا كان يهود مصر مصريين وطيونين كما يزعمون فيجب أن يتبرعوا ويتطوعوا كإخوانهم المصريين، وإن كانوا صهيونيين فهم إذن أعداء العرب في قلب بلاد عربية، وبالتالي فهم أعداء مصر نفسها.

وحكمهم في هذه الآونة الحاضرة حكم الأجانب الأعداء في مدة الحرب الأخيرة، فيجب أن يُعتقل الطابور الخامس منهم، وكل من يُشتبه فيه بأنه معاون للصهيونيين، وتُصادر أموالهم كما فعلت مصر بأعداء الحلفاء.

وأما أن يبقوا في البلاد يستغلونها ويتبرعوا فيها ثم يبعثون بالأموال وبالوثقة والعتاد إلى تل أبيب وكر الصهيونية فإن هذا العمل خيانة لمصر ولجميع العرب..... فيا أيها الإخوان اليهود! إن كنتم إخواننا في الجنسية

(٢٤) نقولاً الحداد: (ضربت عليهم الذلة والمسكنة)، مجلة الرسالة، ص ٤٩١

(٢٥) عدنان الكيال: (اضطهاد اليهود)، مجلة الثقافة، العدد ٤٨٢، ٢٣ من مارس ١٩٤٨، ص ٢٢

والوطنية فاشتركوا معنا في قتل الصهيونية، وإن كنتم صهيونيين فاخرجوا من البلاد لأنكم أعداء البلاد، فاخhtarوا أحد هذين الموقفين».^(٢٦)

ب - «إني أكاد أنشق غيظا حين أرى أعداءنا يقيمون بيننا يقاسموننا رزقنا، ولهم النصيب الأوفر منه. وهم يكيدون لنا ويغدرون بنا، وكل يوم عندنا بينات على خبثهم وغدرهم ليس في فلسطين فقط بل في سائر البلاد العربية. وقد تمادى كيدهم حتى رموا القاهرة بقنابلهم.

كيف نسمح لألد أعدائنا أن يعيشوا بيننا، ويغدروا بنا ونحن سكوت لا نتكلم ولا نعمل؟! يجب طردهم ومصادرة أموالهم؛ فهم قوم لا إنسانية عندهم ولا رحمة ولا شفقة. لقد رأيتم ما كان من توحشهم في دير ياسين وطبريا وغيرها. فاعلموا أنكم سترون أضعافه إذا ثبت لهم قدم في وسط البلاد العربية».^(٢٧)

٧ - شرح مأساة اللاجئين الفلسطينيين، وتقديم حل عملي وسريع لهم:

فرضت مأساة اللاجئين الفلسطينيين نفسها على المهتمين بالقضية، وبخاصة في الأقطار العربية المجاورة لفلسطين، فنشطت المقالة الأدبية تشرح مأساتهم وتصور معاناتهم، وتقدم الحل العملي السريع لهم. وإن كان هذا الحل لم يجد أذانا صاغية إلا أن ذلك ما تملكه الأقلام. تقول المقالة:

أ - «لم تكن كارثة الفلسطينيين المشردين في مغادرة ديارهم وتخريبها ونهبها فقط، بل في ضياع أسباب معاشهم جميعا، وفقد أموالهم، وإضاعة كسبهم ومتاجرهم.

[ثم قدّم كاتب المقالة الحل بتعويض هؤلاء اللاجئين من أموال اليهود المقيمين في البلاد العربية؛ فهم يملكون هناك] أموالا وأملاكا وأسهما وأوراقا مالية لا تحصى.

(٢٦) نقولا الحداد: (موقف اليهود في مصر)، مجلة الرسالة، العدد ٧٥٨، ١٢ من يناير ١٩٤٨، ص ٥٣

(٢٧) نقولا الحداد: (أيها العرب اعلموا أن العالم كله يحاربكم)، مجلة الرسالة، العدد ٧٨٧، ٢ من

أغسطس ١٩٤٨، ص ٨٦٠

وقد استنزفوها من ثروة البلاد بلا جهد ولا عناء، وكانوا يساعدون بشيء كثير منها الصهيونيين في تل أبيب».^(٢٨)

ب - «عجبت أن يهتم برنادوت وأعوانه (بالشحاتة) للاجئين العرب، ويستغيث بمجلس الأمن تارة وبالمؤسسات الخيرية أخرى كالصليب الأحمر وغيره. عجبت أن يهتم هذا الاهتمام الذي يُشكر عليه قليلا، وأعجب منه ألا يخطر بباله أن أشباه الناس Apes اليهود هم كانوا سبب هذه الكارثة.

وأعجب وأغرب أنه - وهو يترك الجبل على الغارب لليهود - لا يطلب من مجلس الأمن بكل شدة أن يُرغم - إن كان عنده قوة للإرغام - جميع يهود العالم أن يدفعوا أثمان جميع الأرزاق والأموال والأملأك، وكل ما كان في حوزة العرب، كل هذه التي نهبا اليهود من بيوت العرب وأملاكهم وحوانيتهم. وهي تقدر بنحو ثلاثمائة مليون جنيه إسترليني هي الآن في ذمة اليهود إن كان لليهود ذمم.....

أنستغيث نحن بالأُمم لكي تقوم بأود منكوبينا، ويكون لنا عند اليهود ٣٠٠ مليون جنيه. نُذَكِّرُ الجامعة العربية بهذا الحق الضائع لكي تطالب به برنادوت ومجلس الأمن وهيئة الأُمم. فقبل أن يحكم مجلس الأمن بدولة إسرائيل يجب أن يستخلص من بنى إسرائيل هذا الحق إن كانت تعرف الحق وتحترمه».^(٢٩)

٨ - استشارة النخوة العربية:

ارتكب الصهيونيون الكثير من الجرائم الوحشية في حق الفلسطينيين بهدف القضاء على عدد منهم، وتخويف من بقى ليجلو عن أرضه، كما حدث في قرية دير ياسين وبلدة ناصر الدين وغيرهما. وقد صوّرت المقالة الأدبية هذه الجرائم تصويراً صادقاً لا مبالغة فيه ولا ادعاء، تستثير به نخوة العروبة وحمية العرض كما يظهر من النموذج التالي عن مذبحه دير ياسين والاعتداء على النساء فيها:

أ - «انقضت جموع غفيرة من اليهود المسلحين على تلك القرية، وأمعنت

(٢٨) نقولا الحداد: (هذا يوم الحساب: التعويضات والغرامات على اليهود)، مجلة الرسالة، العدد ٧٨٥،

١٩ من يوليو ١٩٤٨، ص ٨٠٤

(٢٩) نقولا الحداد: (لو أصبح لليهود دولة)، مجلة الرسالة، ص ١٠٨١

في السكان الآمنين قتلاً وذبحاً فبلغ عدد القتلى ٢٥٠ قتيلاً، وكان من بينهم ٢٥ امرأة حاملاً، و ٥٠ امرأة مرضعاً، ٦٠ امرأة أو فتاة ذُبحن ذبح الخراف في أفضع مظاهر القسوة. ثم جمعوا ١٥٠ امرأة، وبعد أن مزقوا ملابسهن واعتدوا عليهن أركبوهن سيارات مكشوفة، وطافوا بهن الأحياء اليهودية.

وكان الجمهور الصهيوني المتمدن المهذب يرحمهن بالحجارة، ويصق عليهن، ويشتم دينهن ونبيهن، والجلادون واقفون فوق رؤوسهن يتباهون بهذه البطولة، والجمهور يهتف لهم ويطيل التصفيق. حتى إذا ما أتعبهم الطواف بهن أوصلوهن إلى طرف الأحياء العربية، وأخذوا يقذفونهن إلى الأرض، ويطلقون الرصاص فوق رؤوسهن كبيراً وجبروتاً وإرهاباً.^(٣٠)

٩ - تأكيد حق العرب في قضيتهم وموازنته بباطل اليهود:

في غمرة حوادث القضية ووسط الحرب الإعلامية بين العرب واليهود، تلك الحرب التي عمد فيها اليهود إلى وسائل التضليل لادعاء حق لهم في فلسطين. في هذا الميدان نشطت المقالة الأدبية تؤكد الحق العربي، وتدفع به باطل اليهود. تقول المقالة:

أ - «اليهود ماض في فلسطين، وللعرب ماض وحاضر. لليهود فيها تاريخ انقطع منذ عشرات القرون، وللعرب تاريخ موصول منذ عشرات القرون. لليهود في فلسطين تاريخ ذليل مشرد انقطع بجلائهم عنها ويأسهم منها، وللعرب تاريخ مجيد عزيز دافع عنها في غير يأس، واستقر بها في غير ذلة. لليهود في فلسطين أحجار مهدومة سيكون عليها هي بقايا الأحداث وفضلات العصور، وللعرب آثار قائمة مشيدة تصل تاريخهم، وتشهد بآثرهم، وتكذب دعوى اليهود في كل بقعة. لليهود في فلسطين صفحات في الكتب، وللعرب صفحات خالدات في أوديتها وجبالها ومدنها وقراها.

ولو لم يكن للعرب في فلسطين إلا أنهم دافعوا الصليبيين فيها وحولها أكثر من مائتي عام حتى أجلوهم عنها، وأقروا مجدهم وتاريخهم فيها لكان هذا كفيلاً لهم بحقهم فيها أبداً الدهر.

(٣٠) على محمد سرطاوي: (مذبحة الأبرياء في قرية دير ياسين)، مجلة الرسالة، العدد ٧٧٥، ١٠ من مايو

حق العرب في فلسطين يقاتل باطل اليهود، وإحسان العرب يقاتل كفران اليهود، وكرم العرب يلاقى لؤم اليهود. يتقاتل في فلسطين الحق والباطل، والخير والشر، والمروءة والنذالة، والأخلاق الإنسانية العالية والطبائع الحيوانية الدنيئة. والتاريخ العزيز القائم والتاريخ الذليل الميت».^(٣١)

ب - «إذا كان الصهيونيون يحاولون أن يسرقوا ويغصبوا ديارنا؛ لأنهم يدركون أهميتها وقيمتها المادية والمعنوية، فأولى بنا ونحن وارثوها والمالكون لها أن يكون دفاعنا عنها أضعاف هجموهم عليها. أجل أولى بصاحب الدار أن يقاتل أضعاف قتال اللص، فلا يكون اللص أعرف منه وأكثر تقديرا لممتلكاته، وأشد حرصا على اقتنائها.

وإذا كان هذا هو المعقول والواجب في الدفاع عن دار ومتاع خاص فإنه أكثر وجوبا في الدفاع عن الأوطان والمقدسات والحرمانات. واليهود يدفعون دماءهم وأموالهم وجهودهم راضين مغتبطين لأنهم يشترون بها وطناً وأملاً وتاريخاً مزوراً مفقوداً منذ ألفى سنة، فأولى بنا ونحن نملك الوطن والأمل والتاريخ ألا نضيعه وإلا كنا غير جديرين به ولا بالحياة».^(٣٢)

١٠ - تبصير العرب بموقف هيئة الأمم المتحدة من القضية، والتبديد بهذا الموقف:

اعتقد كثير من العرب في عدالة هيئة الأمم المتحدة، وأنها ستكون مؤازرة لهم ماداموا أصحاب حق في قضيتهم مع اليهود. ولكن الحقيقة المؤلمة غير ذلك، وهذا ما بصّرت به المقالة الأدبية في النموذجين (أ) و(ب)، وفي النموذج (ج) مخاطبة إدارة لسانة هيئة الأمم المتحدة، وفي النموذج (د) إفصاح عن موقف مجلس الأمن المستخذي إزاء اليهود. تقول نماذج المقالة:

أ - «هيئة الأمم نفسها ملومة، وعلى نفسها جنت براقش؛ لأنها لم تكن محكمة للقضاء العادل كما كنا نظن. بل ظهر لنا أنها محكمة صلح لا تقضى بين محتكمين، بل تحاول مصالحة العرب واليهود مصالحة قهرية، ولكنها مصالحة

(٣١) د. عبد الوهاب عزام: (الفرقان المتحاربين في فلسطين: الكرم واللؤم)، مجلة الرسالة، ص ٨٨٦

(٣٢) عبد المنعم خلاف: (حديث إلى العرب)، مجلة الرسالة ص ١٤٠٤

مستحيلة؛ لأنه ما من أحد في الدنيا يصلحك على بيته. وأنت تحتله عنوة، وتعتمد إلى اقتسام شطر منه وليس لك فيه حق لا أولاً ولا آخرًا.

أجل لم تكن هيئة الأمم محكمة قضاء، ولا محكمة صلح، بل كانت سوقا للمساومة على المصالح الشخصية على حساب صاحبها؛ فالإنصاف لا يمكن أن يكون رائدها بتاتا، بل كانت ساحة مناوأة بين الدول ذات المصالح التي كانت تتذرع بالمسألة الفلسطينية إلى اقتناص أغراض اقتصادية واستراتيجية ونحوها». (٣٣)

ب - «لقد تعين الكونت برنادوت وسيطا لإقرار السلام بين طلاب الحق وطلاب العدوان وهذا شيء جديد في السياسة وأساليبها. وليس معنى هذا أنه لم يكن من قبل وسطاء بين قوم وقوم، ولكن معناه أن هذا الوسيط ليس وسيطا بين عرب ويهود وهم أصحاب الخصومة الأولى فحسب، ولكنه كذلك وسيط بين الأمم ذوات الآراء المتضاربة في هيئة الأمم؛ فلقد تورطت بعض هذه الأمم في إبداء آراء، وبذل اعترافات ليس من السهل تغييرها دون اتهامها بالقلب، أو إنكارها من بعد اعتراف دون تضييع كرامة؛ فجاءت فكرة الوسيط هذه فكرة بارعة تيسر للأمم النزقة المتعجلة أن تتراجع فتصلح أمورهم مع احتفاظها بأكثر ما يمكن من ماء الوجه». (٣٤)

ج - «أى حال يحول إليه العالم إذا أصبح قضاؤكم [الخطاب لساسة هيئة الأمم المتحدة] للصهيونيين مبدأ يُتبع في كل قضية عالمية؟ إنها جريمة منكرة، ولا نقول إنها غلطة جسيمة، أو أنها خطل ذريع. وسيأتيكم جزاؤكم علمها لا محالة. فهل تدرون من أين يأتيكم هذا الجزاء؟

من أيدي الصهيونيين أنفسهم، ولن يأتيكم من غير الصهيونيين. وكل ما نرجوه في عاقبة وزركم أنكم قادرون على أن تتدركوه، فمن بلاء الوحدة في هذا العالم الجديد أن أوزاركم لا تصيبكم وحدكم إذا حمَّ القضاء». (٣٥)

(٣٣) نقولا الحداد: (على نفسها جنت براقش). مجلة الرسالة. العدد ٧٦٧. ١٥ من مارس ١٩٤٨، ص

(٣٤) د. أحمد زكي: (وسطاء السلام)، مجلة الثقافة، العدد ٤٩٥، ٢٢ من يونيو ١٩٤٨، ص ٢٦

(٣٥) عباس محمود العقاد: (إلى ساسة الأمم المتحدة)، مجلة الكتاب، الجزء الثامن، السنة الثالثة، أكتوبر

د - «اليهود الملاحين طغوا وبغوا وقتلوا ونكّلوا، وأخرجوا الناس من بيوتهم إلى العراء، ومجلس الأمن الموكل بالأمن يترك أمر المشردين لأهل البر والإحسان. فما هو الأمن الموكل به مجلس الأمن؟

إن أقذار اليهود واقعة على رأس مجلس الأمن. وقد تورط كل بدنه فيها، ومع ذلك لا يزال يزعم أنه يحافظ على الأمن!.

أى أمن هذا يا هؤلاء؟! أليس لكم عيون تُبصر، وآذان تسمع، وقلوب تفقه؟ ألا تخجلون أن يركبكم الصهيونيون وينخسوكم بالمناخيس؟»^(٣٦)

١١ - كشف سياسة الإنجليز الخادعة للعرب:

لاشك في أن الإنجليز كان لهم دور خطير في قضية فلسطين بوصفهم المنتدبين على فلسطين والمؤثرين في مستقبلها. وكان لسياستهم الماكرة نحو العرب أكبر الأثر فيما انتهت إليه الحوادث لصالح اليهود، كما يظهر من نموذج المقالة التالى والذى يكشف هذه السياسة التى خدعت العرب.

أ - «إن مصيبتنا هذه جاءت أولاً وآخرأ من الإنجليز، فتبأ لها من دولة فاسقة مارقة. كان جيشنا المصرى على أهبة أن يحتل تل أبيب. وإذا باليهود يستغيثون؛ لأنهم أصبحوا على شفا الهلاك، فأُنجدهم مجلس الأمن بأن اقترح هدنة ٣٦ ساعة، وإذا بالمندوب الإنجليزى «كادوجان» يقول: لا ٣٦ ساعة لا. ماذا تنفع؟ يجب أن تكون الهدنة ٤ أسابيع، وإذا بها صارت أسابيع؛ لأن إنجلترا تُهدد بأنه إذا كان العرب لا يقبلونها فيُحرمون السلاح فقبلوها ولا سلاح. واليهود لم يقبلوها وهم يخرقونها كل يوم. وهم طلبوها لكى يقبلها العرب ويخرقوها هم. وهكذا كان.

وانتهت الأربعة أسابيع ولكن اليهود لم يبلغوا كل مأربهم فالتمسوا تجديدها فجددها لهم برنادوت هدنة دائمة، ففعلوا فيها ماشاؤوا لمصلحتهم حتى إنهم قتلوا برنادوت؛ لأنه ارتأى أن يكون النقب للعرب، وهم لا يريدون أن يبقى شئ للعرب حتى ولا بقعة الرمل هذه.

(٣٦) نقولا الحداد: (هل نجح خدام اليهود؟)، مجلة الرسالة، العدد ٨٠٣، ٢٢ من نوفمبر ١٩٤٨، ص

ففي الهدنتين جاءتهم الأسلحة من كل ناحية حتى صاروا في مأمن، والعرب صابرون ويقولون لا نقبل إلا عروبة فلسطين ودولة فلسطين العمومية، ولا دولة لإسرائيل، وبنو إسرائيل يصادقون على هذا القول بالقول، ولكنهم بالفعل هم على غير هذا القول. والإنجليز يقولون لنا: لا بأس، اقبلوا هذه الهدنة الدائمة واعتبروها صلحاً، ولكن لا توقعوا على شروط الصلح.

انظر هذه البراعة البريطانية. اقبلوا الهدنة كما هي، وخلوا جيوشكم في أماكنها ولا تتقدموا، يوم كان اليهود ينهبون سلاح الألمان وغير الألمان بعد معركة العلمين ويرسلونه تحت ذقوننا إلى فلسطين. كنا نقول للإنجليز إن هؤلاء اليهود اللثام ينهبون السلاح من معسكراتكم وأنتم غاضبون الطرف لماذا؟ أليس لكى يحاربونا به؟

ولكن الإنجليز كانوا يرمون إلى هذا بدليل أنهم إذا أمسكوا عربياً معه بندقية شنقوه، أما يهودى يسوق مركبة مصفحة ملأى بالسلاح فيقولون له باسمين: مبروك».^(٣٧)

١٢ - رصد تطورات القضية:

جرت حوادث قضية فلسطين متلاحقة في عام ١٩٤٨، حاملة معها تطورات متوقعة، إلى جانب مفاجآت غير متوقعة؛ فأسهم المقاتليون العرب بنصيبهم في رصد هذه التطورات والمفاجآت كل من الزاوية التي يراها جديرة بالتصوير والإبانة. وقد اقتصرنا على إيراد ثلاثة نماذج من هذه المقالات مع بيان مناسباتها:

أ - تقويم المقالة ل بدايات الحرب مع الصهيونيين: «أثبتت أعمال الكفاح في الأسابيع الثلاثة الماضية أن الصهيونيين عصابة شريرة خائنة حائثة، وأنها بعيدة كل البعد عن أن تكون جيشاً منظماً كما تحارب الجيوش المنظمة..... ولكن حرب العصابات ليست بالأمر الذى ترتاح له الجيوش النظامية، ولا بد أن تتخذ له القيادة العربية إجراءً حاسماً».^(٣٨)

(٣٧) نقولا الحداد: (أين كنا وأين صرنا؟) مجلة الرسالة، العدد ٨٠٤، ٢٩ من نوفمبر ١٩٤٨، ص

(٣٨) د. محمد عوض محمد: (بين السلم والحرب)، مجلة الثقافة، ص ٢

ب - تعليق المقالة على مصرع برنادوت وسيط هيئة الأمم المتحدة بيد الصهيونيين:

«لو كانت الرصاصة التي صرعت برنادوت عربية لقلَّ العجب؛ لأنه كان مع اليهود على العرب. ولكن حاشا للعربي أن يغدر، حاشا للعربي أن يقتل من لا يهاجمه، حاشا للعربي أن يقتل أعزل أو شيخاً أو طفلاً أو امرأة. لا يمكن العربي أن يقتل برنادوت حتى ولو كان يهودياً.....»

لقد قُتل برنادوت، ودُفن جسمه واسمه، ودُفنت معه هيئة الأمم المتحدة، وأصبح خذلان مجلس الأمن أمراً واقعاً^(٣٩).

ج - تفسير المقالة لحكم القضاء العراقي العسكري على اليهودى شفيق عدس بالقتل شنقاً، وبغرامة مقدارها خمسة ملايين دينار، وإيرادها أسباب هذا الحكم: «لأنه كفر بالعراق الذى نشأه وربَّاه، ثم آمنه ورعاه، ثم رفَّه وأغنَّاه، فاشتري بما نال من كرمه، وادخر من نعمه ألوف الأطنان من مختلف السلاح والعتاد، وأرسلها خفية إلى أوغاد اليهود فى فلسطين ليقتلوا بها إخوانه فى الوطن وأعوَّانه على الثراء.

فكان هذا القضاء وحيّاً من قضاء الله. وكان هذا الحكم هدياً من ضياء العدل صفقت له الوطنية، واغتبطت به العروبة، وتمنى كل قطر من الأقطار التى مُنيت باليهودية الماكرة والصهيونية الغادرة أن يحكم كل قاض بمثله على كل يهودى يقف بين يديه وقفة المجرم. واليهودية هى الصهيونية محتجة أو سافرة، والصهيونية هى الفوضوية محتشمة أو داعرة^(٤٠).

١٣ - تنبيه العرب لسياسة الأمر الواقع التى أفاد منها اليهود:

عرف اليهود كيف يستفيدون من سياسة الأمر الواقع بصورة جيدة؛ فطبقوها فى تخطيطهم، وغفل العرب عن هذه السياسة. وهذا ما أشارت إليه المقالة الأدبية، ودعت إلى الأخذ به فى قوة، كما يظهر من النموذج التالى:

(٣٩) نقولا الحداد: (مصرع برنادوت)، مجلة الرسالة، العدد ٧٩٦، ٤ من أكتوبر ١٩٤٨، ص

١١١٤.

(٤٠) أحمد حسن الزيات: (حُكْم من أحكام الله)، مجلة الرسالة، ص ١١٤١.

أ - «قد استمرأ اليهود سياسة الأمر الواقع، وعادوا يفعلون ما يروق لهم، ولا يحسبون حساباً للعواقب؛ لأن الأمر الواقع ينفي كل عاقبة!». وقد كان ذنبنا العظيم أننا لم ننجح إلى الأمر الواقع، ولا عرفنا كيف نستفيد منه.....

إن اليهود فعلوا ما كان يجب أن نفعله. كانوا كلما ترك الإنجليز موضعاً احتلوه هم..... احتل اليهود كل مكان أخلاه الإنجليز، ونحن لم نستطع أن نحمل نساءنا وأطفالنا ففتك بهم أولئك الذئاب، وفرّ من استطاع أن يظفر بالسلامة!. فحتّام ياقوم نتبع سياسة التواني، ونعرض عن سياسة الفرصة السانحة، والضربة السابقة، والأمر الواقع».^(٤١)

١٤ - تحية شهداء فلسطين:

حيّت المقالة الأدبية شهداء فلسطين، وأشادت بهم وبتضحياتهم، ونوّهت بما قدموه من فداء وبذل، واستحلفت المقالة القراء قائلة لهم: «بالله لا تمحوا أسماءهم من صفحة الأذهان، ولا تسدلوا على ذكراهم ستار النسيان؛ فقد جاهدوا من أجل فلسطين العربية منفردين قبل أن يجاهد العرب من أجلها مجتمعين. ومشّت مواكبهم إلى ساحة الاستشهاد أفواجا بعد أفواج قبل أن تندفق كتائب الجيوش العربية على الأرض المقدسة كالأمواج، وحاولوا إنقاذ فلسطين من الصهيونية في سلسلة من الثورات ذرفوا فيها الدموع، وبذلوا الدماء».^(٤٢)

١٥ - دعوة العرب إلى الثقة بالنفس:

لم يكد ينتصف عام ١٩٤٨ حتى انتهت الحوادث إلى نتائج جزعت لها النفس العربية، وقلقت مما يضمّره لها المستقبل؛ فكان من واجب المقالة الأدبية أن تحارب الجزع والقلق في النفس العربية وأن تبديد بأسها وقنوطها، وأن تدعو العربي إلى الثقة بنفسه قائلة له: «لا تريض باليأس قلبك، ولا تعصر بالقنوط

(٤١) نقولا الحداد: مصرع برنادوت، مجلة الرسالة، ص ١١١٤

(٤٢) حبيب جاماني: (مواكب الشهداء)، مجلة الهلال، المجلد ٥٦، الجزء ٧، يوليو ١٩٤٨، ص ٤٥.

وقد عرّفت المقالة بعدد من الشهداء هم: موسى كاظم الحسيني، وعبد القادر الحسيني، وفؤاد حجازي، وأحمد جابر، وعز الدين القسام، وفرحان السعدي، ومحمد سعيد العاص، ويوسف أبو درة، وعلى سليم الحسيني، وعبد الرحيم الحاج، وعارف عبد الرازق، وحسن سلامة.

فؤادك، بل اصرخ أيها العربي في النفوس الراقدة علَّها تفيق، وفي الأرواح الهامدة علَّها تتحرك، وفي الضمائر الميتة علَّها تحيا، وفي المشاعر الساكنة علَّها تنطق؛ فلقد اقتربت النار وقضى الأمر، وقد داهمك اللصوص بالخيانة والغدر، وقد سرقوا متاعك بالخداع والمكر.

على أنك إذا وثبت وثبتك، وأطعت قلبك أطفأت النار قبل أن تلتهم الديار، ولحقت باللصوص الجبناء قبل أن يولوا الأدبار، واسترجعت متاعك قبل أن يتواروا عن الأبصار.....

فتق بنفسك، وتوكل على ربك، واستعن بإخوانك العرب في مصر التي تُعلَّم سهولها الكرامة، وفي سوريا التي تُلقى بطاؤها دروس الشهامة، وفي لبنان الذي تُعوّد جباله الشم على الصبر، وفي الحجاز الذي يُهدى صعيده الطيب إلى الطهر، وفي العراق التي تُلهم واحائها الشجاعة، وفي الأردن الذي تُوحى وديانه البسالة، وفي اليمن الذي تحب رياضها بالإيمان، وفي الجزائر التي تُزين رمالها الكفاح، وفي كل قطر عربي لا ينام عن حقه، ولا يفقد ثقته بنفسه»^(٤٣).

١٦ - شرح لواجبات العرب نحو قضيتهم:

لم تقف المقالة الأدبية عند المجالات التي تناولناها في الفقرات السابقة وحسب، بل شرحت ما يجب على العرب أن يفعلوه نحو قضيتهم الأولى بعد أن أظهرت الحوادث سلبيات كثيرة في سلوكهم وخططهم، فخاطب النموذج (أ) العربي مبينا له أن سلاح الحق وحده ليس بمُجيد في العالم الذي يعيشون فيه. ودعا النموذج (ب) العرب إلى نبذ سياسة الأقوال، واللجوء إلى الأعمال الإيجابية المجدية. وفي النموذج (ج) دعوة مُلحّة إلى إنشاء صناعة عربية للسلاح. وفي النموذجين (د) و(هـ) بيان بخطوات عملية محددة ينبغي اتخاذها ضد اليهود، وفي النموذج الأخير (و) دعوة حارة لأبناء العروبة تتضمن معالم طريقهم الصحيح. تقول المقالات: -

أ - «لا تعتمدوا على الحق؛ لأن الحق لا يكون سلاحاً ماضياً إلا في عالم

(٤٣) صبحي إبراهيم الصالح: (لست الله أيها العربي)، مجلة الرسالة، العدد ٧٩٨، ١٨ من أكتوبر ١٩٤٨، ص ١١٧٦.

الأخيار حيث يتجلى الحق الإلهي فيسجد له الأبرار، وأما عالمنا هذا فهو عالم الأشرار حيث يتجلى الظلم والاستئثار. فلا تعتمدوا على سلاح الحق فهو سلاح الخيال، ولا وجود إلا لحرفية «ح. ق».

وما هذه الاجتماعات التي تُعقد في (لايك سكسس) إلا مؤتمرات شيطانية يعقدها أبالسة السياسة فيما هم يتقاسمون مغام الحرب من دماء الأمم الصغيرة..... لا سلاح لكم إلا عزمكم وحزمكم وأنفتكم وحصافتكم ثم سواعدكم. فإن انتصرتم فزتم بكيانكم الشريف، وإن هلكتم سلمتم من مذلة العبودية لشياطين الصهيونية. ويا لها من مذلة أئمة، وعبودية لجنس ليس من البشر، وليس له رحمة ولا رأفة ولا إنسانية»^(٤٤).

ب - «لقد برم الناس سياسة الأقوال، وباتوا يرقبون الأعمال الجدية؛ فالقضية اليوم قضية دولارات تُنثر، وطائرات ترجم، وزحافات تقذف، وقنابل تفتك، ومتفجرات تبيد وتهدم..... [ثم تمنى المقالة] أن تنقلب أسنة الأقلام المرهفة في أيدي أصحابها إلى دبابات وطائرات ومدافع ومتفجرات تأتي على جذور الصهيونية من أساسها»^(٤٥).

ج - «ظهر لنا أننا لم نبخل بالمال ولا بالرجال، حتى ولا قصرنا في السياسة. وإنما سلاحنا قصر، وجميع الدول تألبت علينا فحرمتنا السلاح. ولولا هذا لكان بنو إسرائيل الآن طعاما لسمك بحر فلسطين.

نحن إذن في حاجة ماسة إلى السلاح، ليس الآن فقط، بل في كل حين؛ لأننا لا ننتهي مع الصهيونيين بانتهاء هذه المرحلة، بل سنبقى في صدام معهم ماداموا بين ظهرانينا. فإن استتبقت قدمهم في فلسطين كانوا نكبة علينا لا تنتهي؛ فيجب أن نكون دائما على استعداد لمناهضتهم إلى أن نقذفهم في بحر فلسطين. فمن أين السلاح؟

يجب أن نستغنى عن سلاح أية دولة أجنبية. لماذا لا نصنع سلاحنا بأنفسنا؟ ماذا ينقصنا؟ المال؟ نحن أغنياء. العقول؟ لقد شهد الأجانب في مؤتمرات

(٤٤) نقولا الحداد: (أيها العرب اعلموا أن العالم كله يحاربكم)، مجلة الرسالة، ص ٨٥٩.
(٤٥) حسنى كنعان: (القول للسيف)، مجلة الرسالة، العدد ٧٧٦، ١٧ من مايو ١٩٤٨، ص ٤٦٥، ٤٦٦.

كاليفورنيا ونيويورك ولايك سكسس أن لنا عقولاً ممتازة. العمال؟ عندنا كثير منهم.

يجب أن ننشئ معامل ضخمة في جميع البلاد العربية لصنع آخر طراز من الطائرات الخفيفة الضخمة، وأن ننشئ معامل ضخمة لصنع المدافع من كل طراز، والبنادق والذخائر على اختلاف أنواعها، وأن ننشئ دور صناعة، وحياضاً لصنع السفن، ومعامل لصنع المركبات على اختلاف أنواعها.....

ويجب أن تقدم هذه المشروعات على كثير من المشروعات الحكومية التي يمكن تأجيلها لمدة خمس سنين على الأقل؛ لأن الدفاع عن النفس يقدم على كل اعتبار.

هذا ما يجب أن تفكر فيه الأمم العربية الآن؛ لأن العصر عصر الاعتماد على النفس، وإلا تغدّى بنا الصهيونيون قبل أن نتعشى بهم».^(٤٦)

د - «لا ينفعنا مع هؤلاء الأشرار إلا قول القرآن الكريم: «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم»..... يجب أن تقررُوا منذ الآن أن تكافؤُوا هؤلاء الأردياء هكذا: -

أولاً: مصادرة جميع أملاك اليهود في البلاد العربية كلها، باعتبار أنهم كلهم صهيونيون، وأن العدوان - في فلسطين هو عدوانهم وهم شركاء فيه.....

ثانياً: يجب أن يذاع هذا الحكم على الصهيونيين لكي يعلموا أن كل ما يأتيه من المنكر في البلاد العربية على الإطلاق يتحمل وزره إخوانهم في كل بلد عربي.....

ثالثاً: أن يُبلغ صهيونيون فلسطين أن كل ما نهبوه من أموال العرب، وكل ضرر أوقعوه على العرب سيؤخذ التعويض عنه أضعافاً يوم الحساب، بعد إخماد عنفوانهم يوم الهزيمة.....

رابعاً: أن يعلم هؤلاء اليهود الصُّلاب الرقاب أنهم لا يُعاش معهم بعد قمع ثورتهم، بل يجب أن يُطردوا من البلاد العربية كلها».^(٤٧)

(٤٦) نقولاً الحداد: (أيها العرب ما حك جلدك مثل ظفرك)، مجلة الرسالة، العدد ٧٨٨، ٩ من أغسطس ١٩٤٨، ص ٨٨٧.

(٤٧) نقولاً الحداد: (الغيظ المخزن)، مجلة الرسالة، العدد ٧٧٦، ١٧ من مايو ١٩٤٨، ص ٤٥٢.

هـ - « ١ - إعلان التجنيد العام في البلاد العربية، وتدريب شباب العرب على الأعمال الحربية، وإيقاظ روح الوطنية فيهم؛ الوطنية الواعية العاملة لا وطنية التصارع والمظاهرات، وتجهيز هذه الجيوش من الشباب الغيور بالمعدات الحربية اللازمة.

٢ - تجنيد الفلسطينيين الذين هم في سن الجندية، وتأليف جيش منهم لا يقل عن ثلاثين ألف مقاتل، وتدريبهم التدريب اللازم الكافي للنضال وإنقاذ الوطن....

٣ - وتموين هذه الجيوش بالموثون ومختلف أنواع السلاح والذخيرة ينبغي فرض ضرائب جديدة للدفاع في مختلف الأقطار العربية.....

٤ - على الدول العربية أن توقظ شعوبها، وتفهمها جيدا ما يحيق بها من أخطار تهددها بإخلائها عن أوطانها، وزعزعة كيائها، والقضاء عليها».^(٤٨)

و - «ياقوم لقد قلنا لكم: إن القوة هي الحق، وما سواها باطل، وإن ابن آدم على الرغم من دينه وعلمه ومدنيته لا يزال عبد العصا، وضبيعة الدينار. فمن شاء أن يعيش مرهوب الجانب، محفوظ الحق فليدع سماحة موسى، وبلاغة هارون، وليتخذ قوة شمشون، وغنى قارون».^(٤٩)

(٤٨) د. يوسف هيكمل: التعبئة العامة، مجلة الثقافة، ص ٢، ٣

(٤٩) أحمد حسن الزيات: (مثل المهذبين من بنى آدم)، مجلة الرسالة، العدد ٨٠٤، ٢٩ من نوفمبر

١٩٤٨، ص ١٣٣٨.

نماذج كاملة للمقالة الأدبية في قضية فلسطين عام ١٩٤٨

بعد أن عرضنا لمقتطفات من المقالات في جوانب عديدة من قضية فلسطين، نورد فيما يلي نماذج كاملة من المقالة الأدبية في القضية، مع التعليق على كل مقالة منها.

١ - مقالة بعنوان: (من علامات الساعة!)*

«من علامات الساعة أن يتشجع اليهودي فيحمل سلاحا، ويشهد حربا، ويحرز نصرا، ويحتل مدينة!!».

ومن علامات الساعة أن يخرج اليهودي من البنك إلى الثكنة، ومن الدكان إلى الميدان، ليحارب العرب على فلسطين، ويثأر للفرنج من صلاح الدين!!.

ومن علامات الساعة أن يكون لليهود جيش ينتصر على العرب في حيفا، وعلم يرفرف على المسجد في يافا، ودولة تريد أن تقوم في القدس!!.

كذلك من علامات الساعة أن ينهزم العربي أمام اليهودي ولو ظاهرته مادية الأمريكان، وخديعة الإنجليز، وشيعة الروس؛ فإن الثعلب بحسبه أن يشم ريح الأسد من بعيد ليُجحر، وإن الفأر بحسبه أن يبصر الهر من فوق الجدار ليسقط!.

يا لله ماذا نرى؟ نرى الألوفا من نساء العرب وأطفال العرب يخرجون من ديارهم مشردين في البر والبحر يلتمسون في الشام المأوى، ويطلبون في مصر الأمن، وأهلهم مُصرَّعون على ثرى الوطن الحبيب السليب، بعد أن قذفوا في صدر العدو آخر رصاصة، ودفعوا غائلة الجوع بآخر كسرته، وافتدوا وطن الآباء بآخر رمق!

يا لله ماذا نسمع؟ نسمع أن تل أبيب تحكم يافا، وأن راية صهيون تحفق على

* المقالة لأحمد حسن الزيات في مجلة الرسالة، العدد ٧٧٤، ٣ من مايو ١٩٤٨، ص ٤٩٣، ٤٩٤.

مسجد (حسن بك)، وأن بنى إسرائيل يُذبحون الأبناء ويستحيون النساء في دير ياسين!.

لقد سمعنا أن اليهود يحتلون البلاد بالنساء والذهب، ولكننا لم نسمع قبل اليوم أنهم يحتلون بالرجال والحديد!!.

ماذا جرى حتى استجملت الناقة ياهود، وماذا جرى حتى استنوق الجمل ياعرب؟! جرى أن اليهود يعملون ونحن نقول، ويَجِدُّون ونحن نهزل، ويبدلون ونحن نبخل، ويتعاونون ونحن نتخاذل، ويتكلمون ونحن نتواكل!.

في كل شهر مؤتمر، وفي كل أسبوع مجتمع، وفي كل يوم قرار، وفي كل ساعة تصريح، وفي كل دقيقة خطبة. وكل أولئك يحمله الهواء إلى المجاهدين المجهودين أصواتا لا تدفع سيارة، ولا ترفع طائرة، ولا تحشو مدفعا، ولا تملأ بطنا، ولا تبعث قوة.

فإذا جاء يوم العمل نظر بعضهم إلى بعض، فإذا الأول واقف لأن ترومان لم يتقدم، وإذا الثاني ساكت لأن ييفن لم يتكلم، وإذا الثالث متأرجح لأن الآخرين لم يستقروا على رأى!.

كنا قبل أن تنشأ (الجامعة العربية) أهواء متشعبة، وآراء متضاربة، وقوى متفرقة، فكنا نجد عذرنا في هذا الانقسام، ونعزوا فشلنا إلى هذه الفُرقة، ونهدد خصومنا بأن في جمعتنا الخلاص منه، وفي وحدتنا القضاء عليه. فلما أذن الله لأوطاننا أن تتصل، ولدولنا أن تتحد ابتلانا بمحنة فلسطين ليعلم العدو المتريص ما وراء العربى إذا تجمع شمله، وما غناء الإسلام إذا تجدد حبله.

فالجامعة العربية اليوم في ميزان الأقدار، وامتحان الشدائد؛ فإذا رجحت كفتها على اليهودية رجحت في كل أمة، وإذا ثبت معدنها على المحك في هذه الأزمة ثبت في كل أزمة.

إن مستقبلنا رهن بهذه المعركة؛ فإذا كسبناها كسبنا جُلَّ ما نبغى، وإذا خسرتها خسرتنا كل ما نملك. ذلك لأن اليهود لا يستطيعون أن يقيموا لهم دولة في فلسطين إلا على عمَد من الجبهة الغربية أو الجبهة الشرقية، وأياً ما تكن هذه العمَد فإنها التدمير والتكفير والفوضى إذا كانت شيوعية، وإنها الاستعمار والاستثثار والبلوى إذا كانت رأسمالية».

* * *

لا تكشف المقالة في بدايتها عن مقدمة، وإنما نرى عنوان المقالة «من علامات الساعة» يتصدر الفقرات الأولى من المقالة ليؤكد دهشة الكاتب وتعجبه، فكأن القيامة جاءت أشراطها، وليجذب قارئه ليشركه دهشته وتعجبه، ويمضى معه في أفكاره وتصوراتهِ حتى ينتهى به إلى خاتمة المقالة التى يقول فيها «إن مستقبلنا رهن بهذه المعركة..... الخ»

والمقالة موضوعية ولكن الكاتب وُفق في أن يسكب انفعاله الذاتي فيها، وأن يغنيها بإحساسه المرهف ومشاعره الفياضة.

أفكار المقالة:

١ - تناولت المقالة تغيرُ حال اليهود في هذه الحرب، وأبرزت عدة مظاهر لهذا التغير، وأشارت إلى فظائعهم التى ارتكبوها.

٢ - صورت المقالة حال النساء والأطفال من أهل فلسطين بعد مصرع أهلهم الذين أدوا واجبهم بقدر ما تسمح به إمكانياتهم.

٣ - ربطت المقالة بين العروبة والإسلام في القضية بوصفهما المقومان الأساسيان لها.

٤ - لم تقف المقالة عند مجال الانفعال والدهشة وحسب، بل تساءلت عن سبب ما جرى. وأجابت عن تساؤلها بأن السبب يرجع إلى أن اليهود يعملون ويحذون ويبدلون ويتعاونون ويتكلمون، أما العرب فهم يسلكون سبل القول والهزل والبخل والتخاذل والتواكل.

وقد أصابت المقالة إلى حد كبير في تصويرها الصادق لحال العرب، وفي التنبيه إلى العيوب التى ينبغى أن يتخلصوا منها.

٥ - عرّضت المقالة بساسة العرب في ذلك الوقت لعدم تحملهم مسئولياتهم في هذه المرحلة الحرجة من حياة أمتهم.

٦ - وضعت المقالة - في خاتمها - العربَ أمام اختيارٍ جدّى لا مفر منه.

أسلوب المقالة:

١ - يحفل أسلوب المقالة بتنسيق التعبير الممزوج بإحساس الكاتب في ربط جميل بين عقله وذوقه، وبين فكرته وكلمته.

٢ - يتميز أسلوبها باختيار الألفاظ، والحرص على أن تأخذ مكانها في أنسب موضع يلائم بناء المقالة، ويلبس المعاني أجود ثيابها مثل لفظ (مُصرَّعين)، ولفظ (المجهودين).

٣ - يُذكرنا الزيات في عباراته المتوازنة، وإيقاعاته في الأسلوب بتوازن عبارات الجاحظ وإيقاعاته، وكأننا نطالع أسلوب الجاحظ مرتدياً ثياب عصرنا. انظر قول الزيات: «اليهود يعملون ونحن نقول، ويجذون ونحن نهزل، ويبدلون ونحن نبخل، ويتعاونون ونحن نتخاذل، ويتكلمون ونحن نتواكل».

٤ - تتسم الجمل بالرصانة مع السلاسة، حيث يأخذ بعضها بيد بعض في اتساق يسهل على القارئ الانتقال من جملة إلى جملة، وهو يشعر بمتعة في ذلك الانتقال، وتلقى المعنى بقبول ويُسر.

٥ - التأثر بالقرآن الكريم في عبارة «يُذَّبِّحُونَ الأبناء ويستحيون النساء في دير ياسين».

٢ - مقالة بعنوان: (قضية مكسوبة)*

«يحمل صديقنا «الأستاذ الحداد» مطارقه كلها في هذه الأيام، ويضرب بهذه المطارق كلها على رؤوس الصهيونيين! فتارة يتناول التلمود ويكشف عما فيه من الوسايا الخفية، وتارة أخرى يتناول المجامع العليا وما تأتمر به من مؤامراتها الجهنمية، ويعرض أحيانا للماسونية التي تتخذ هيكل سليمان شعاراً لها، ولا تخلو من صلة بسياسة إسرائيل، ويعرض أحيانا أخرى لدسائس القوم في العصر الحديث، وهي نمط منقح من دسائسهم في كل تاريخ قديم.

وحسنا صنع الحداد؛ فإنه الآن على الأقل ليضرب بمطارقه حيث تنزل مطارق الله، وما نزلت مطارق الله على قوم كما نزلت على هؤلاء (شعبه المختار) فكأنهم شعبه المختار بمعنى واحد، وهو معنى الاختيار للنقمة والعقاب.

وآخر ما قرأته في هذه الحملة الحدادية كلامه عن كتابة التوراة العبرية في عهد موسى عليه السلام؛ فهو ينفي كتابة الأسفار الخمسة التي تُنسب إلى موسى عليه السلام في عهده. ويستدل على ذلك بتاريخ الكتابة بين العبرانيين.

* المقالة لعباس محمود العقاد في مجلة الرسالة، العدد ٧٨٥، ١٩، من يوليو ١٩٤٨، ص ٨٠١-٨٠٣.

ومن المحقق أن هذه الأسفار الخمسة كُتبت بعد عصر موسى عليه السلام بزمان طويل، وليس أكثر من الأدلة التاريخية القاطعة التي لا تدع لذرة من الشك موضعاً في ثبوت هذه الحقيقة. ولا حاجة بنا ولا بالأستاذ الحداد إلى سرد هذه الأدلة التاريخية المطولة؛ فإن نصوص الأسفار الخمسة نفسها تغنينا عن كل دليل؛ إذ تروى هذه الأسفار فيما تروى نبأ مُلك قديم قام في بني إسرائيل. ومعنى ذلك أن هذه الرواية كُتبت بعد قيام المُلك فيهم على عهد شاول وداوود وسليمان، أى بعد موسى بثمانية أو تسعة قرون.

ومن أعجب العجب أن تُنسب هذه الأسفار إلى موسى وفيها وصف موته ودفنه، ومقارنة بينه وبين التابعين له من الأنبياء؛ ففي الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية: (فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب، ودفنه في الجوا في أرض موآب مقابل بيت قغور، ولم يعرف إنسان قبره إلى اليوم). وفي ذلك الإصحاح أنه لم يقم بعد موسى في إسرائيل نبي مثله، ومعنى ذلك أن هذا الإصحاح كُتب بعد قيام أنبياء كثيرين تنعقد المقارنة بينهم وبين موسى عليه السلام، فمن الثابت قطعاً أن هذه الأسفار العبرية كُتبت بعد عصر موسى عليه السلام بعدة قرون.

ولكننى أكتب هذا المقال لأبسط فيه الرجاء إلى صديقنا الحداد أن يرجىء حملته على هذه (المستندات) العبرية؛ لأنها قد تنفعنا في قضية مكسوبة إن شاء الله. وهذا هو خط سير القضية التي نعتمد فيها على تلك المستندات، حتى ينكرها الصهيونيون فنكسب، أو يعترفوا بها فنكسب، ونحن الكاسبون على الحاليتين.

فُتحت محكمة العدل الدولية عن مندوب مصر يطالب عصابة إسرائيل بعشرين مليوناً من الجنيئات الذهبية.

قال القاضى لمندوب مصر: علام تستند في دعواك؟

قال المندوب: على وثيقة لا يطعن فيها الصهيونيون!

قال القاضى: أين هى؟

قال المندوب: هى هذه، ودفع إليه بنسخة من التوراة العبرية. ويظهر أن الأوروبيين والغربيين لا يقرأون التوراة في هذه الأيام؛ لأنهم لو كانوا يقرأونها

لعرفوا منها تاريخ هؤلاء القوم، وعرفوا منها أن أنبياءهم كانوا يصفونهم مرة بعد مرة بالتمرد والعصيان وغلظ الرقاب، وأنهم ما برحوا منذ كانوا على شقاق وشغب واضطراب.

قال القاضى: وماذا فى هذه الوثيقة مما يثبت دعواك؟

قال مندوب مصر: فى الإصحاح الثالث من سفر الخروج: (يكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين، بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا، وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين).

قال القاضى: هذه نية. هذا شروع. فهل تمت الجريمة؟

قال مندوب مصر: نعم تمت؛ فقد جاء فى الإصحاح الثانى عشر من سفر الخروج أيضا (أن بنى إسرائيل ارتحلوا..... نحو ستمائة^(٥٠) ماشى من الرجال عدا الأولاد، وصعد معهم لفيف كثير أيضا مع غنم وبقر مواشى وافرة جدا). وجاء فى الإصحاح قبل ذلك (أنهم طلبوا من المصريين أمتعة فضة، وأمتعة ذهب، وثيابا، وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين).

فسأل القاضى مندوب مصر: ولكن علام بنيتم تقديركم للمبلغ المطلوب؟ قال المندوب: ثابت يحضرات القضاة من هذه الوثيقة أن عدد الرجال فقط من بنى إسرائيل كان ستمائة ألف رجل، عدا النساء والأولاد، فلا يقل عددهم جميعا إذن عن ثلاثة ملايين. وثابت من هذه الوثيقة أنهم كان معهم لفيف كثير. وثابت منها أن المواشى التى أخذوها كانت كثيرة جدا. وثابت منها أنهم أخذوا أمتعة ذهب وفضة، وثيابا موشاة مما يُلبس فى الأعراس. فإذا قدرنا هذا - مع الفوائد المستحقة فى نيف وثلاثين قرنا - فليس هناك أقل مبالغة فى تقديره بعشرين مليوناً من الجنيهات الذهبية.

فتداول القضاة قليلا فيما بينهم، ثم سأل رئيسهم مندوب عصابة إسرائيل: ما قولك فى الدَّيْن المطلوب؟

(٥٠) [رقم «ستماية ماش» خطأ مطبعى فى المقالة، وصحته من كتابهم المقدس (ستماية ألف ماش)، وكما أشار إليه العقاد نفسه بعد ذلك.]

قال المندوب الصهيوني: إني أنكره ولا أعترف به.

قال رئيس القضاة: ولم؟ هل تطعن في الوثيقة؟

قال: كلا، لا أطعن في الوثيقة.

قال القاضي: إذن هل تطعن في التقدير؟

فالتفت المندوب إلى مستشاريه، وتداولوا الرأي فيما بينهم ملياً، فتبين أن الطعن في التقدير ينتهي إلى الحكم بمبلغ كثير أو قليل على كل حال. ثم عاد مندوبهم إلى الكلام وهو يقول: إننا يا حضرات القضاة لا نطعن في الوثيقة، ولا نطعن في التقدير، ولكننا نطلب الحكم بسقوط الدعوى لمضي المدة.

فنظر القاضي إلى مندوب مصر سائلاً: ما جوابك على هذا الدفع؟ قال المندوب: جوابي أن المدة التي مضت على هذا الدّين المعترف به هي المدة التي مضت على حق القوم المزعوم في ملك فلسطين. فإن سقطت الدعوى هنا سقطت الدعوى هناك.

ولم يسع القاضي إلا أن يسأل الطرفين: أتوافقون إذن على إسقاط الدعوى جملة في هذه الوثيقة؟

قال مندوب إسرائيل على عادة القوم في كل مطلب وفي كل دعوى: بل تعتبر القضية قائمة في دعوى صهيون، وتسقط القضية في دعوى المصريين!.

يا صديقي الحداد!

أنت ترى (خط سير القضية) وأنت رجل كيمي ورجل أدب، ولكنك لا تجهل أن الدعوى مكسوبة على الحالتين وإن ساورتك الظنون كما تساورنا في محاكم الدول وهيئات التحكيم، فهلاً رفعت من مطاركك التي تهوى بها على هؤلاء القوم مطرقة واحدة إلى حين!

هلاً رفعت عنهم مطرقتك التي تهوى بها على (مستندهم) القديم!

ارفعها قليلاً، وتكون يومئذ قد صنعت بهم ما صنع الحداد».

* * *

نرى في بداية المقالة مقدمة تشير إلى مقالات الحداد عن قضية فلسطين. وهذه المقدمة نفسها توحى بأنها مقالة ذاتية، ولكننا لا نلبث معها قليلاً حتى

نرى العقاد قد حوّلها إلى مقالة موضوعية تتناول قضية تاريخية قديمة مؤيدة بالمستندات، وممزوجة بقضية فلسطين الراهنة إلى أن ينتهى في خاتمها التى يخاطب فيها صديقه (الحداد) إلى مسحة ذاتية.

والأستاذ الحداد الذى أشار إليه العقاد فى مقاله هو (نقولا الحداد) صيدلى وأديب دأب على نشر العديد من المقالات عن قضية فلسطين فى المجلات الأدبية. وسيأتى فى نهاية البحث تعريف به.

أفكار المقالة:

١ - المحور الرئيسى الذى دارت عليه المقالة هو (بطلان دعوى اليهود فى فلسطين).

٢ - فنّد العقاد بأدلة قاطعة مقولة اليهود بأن الأسفار الخمسة كُتبت فى عهد موسى عليه السلام.

٣ - صنع العقاد مشهداً تمثيلاً فى المقالة لمحكمة العدل الدولية عرض فيه لوجهات النظر فى القضية، مع الاستدلال بنصوص كتاب اليهود المقدس. وقد وُفق العقاد فى توظيف الحوادث التاريخية القديمة، ومن واقع كتاب اليهود المقدس فى عرض قضيته الحديثة بطريقة ذكية وتناولٍ ساخر بعقلية بنى إسرائيل، وطرق تفكيرهم، وتهافت دعواهم فى فلسطين.

أسلوب المقالة:

١ - تشيع فى أسلوب المقالة ظاهرتان واضحتان، الأولى: الدعابة مع صديقه الحداد، والثانية التهكم مع إلزام الخصم الحجة فى المناظرة أو المحاكمة التى أورد بها؛ لأنه يرى أن المقام يتطلب ذلك.

٢ - اتخاذ سبل البحث والتمحيص والمقابلات العقلية ملحوظة فى أسلوبه.

٣ - الإحكام والتماسك فى أدائه اللغوى.

٤ - الاقتصاد فى الأسلوب بالتعبير عن المعنى الواحد بعبارة واحدة فى قوة

ووضوح.

٥ - التحرى الدقيق فى السلامة اللغوية والنحوية.

٣ - مقالة بعنوان: (ماذا استفدنا من حرب فلسطين؟)*

«وقف القتال في فلسطين نزولا على حكم مجلس الأمن. وبهذا تمت مرحلة من مراحل الجهاد يصح أن نقف عندها، لنأمل في أحداثها، ونرى موضع العبرة فيها.

توحدت كلمة العرب بعد طول الانقسام، وكان يجب أن تتوحد من وقت أن ظهر خطر الصهيونيين، أو من وقت عهد بلفور على الأقل. كما توحدت مساعي الصهيونيين من أمد بعيد، وبدأنا أخيرا نضع برامج القتال بعد أن وضع الصهيونيون برامجهم من زمن طويل، وأخرجوها إلى حيز الفعل؛ ففى كل مستعمرة قلاع، وفي كل تلال حصون إلى مصانع للذخيرة، واستجلاب ما أمكن من العدد. وأضعنا زمنا كنا نقاتلهم فيه بالروح المعنوية النبيلة القوية من غير أن نعتمد على قوة مادية كافية، ومن غير أن نعتمد على تنظيم جهود لا بد منها للقتال، وذهبت ضحايا كثيرة بريئة شريفة ما كانت لتضيع لو رُتبت الأمور، ونُظمت الجهود، ووُضعت الخطط من أول الأمر.

ولكن ذلك كله على كل حال كان درساً قاسياً تعلمنا منه وحدة الكلمة، وتنظيم الخطط، وأنه يجب علينا ألا نغمر العين بعد ذلك عن الداء متى بدأت أعراضه، ولا ندعه يستفحل ثم نأخذ في علاجه.

وعلى الجملة فقد استفدنا أن العلم يجب أن يحارب بالعلم لا بالبركة ولا حيثما اتفق؛ فالجرب تخضع للعلم كما يخضع له الآن كل شيء، لا بد لها من كلمة موحدة، وخطة محكمة منظمة، وآلات قتال كافية، يدعمها كلها روح معنوية قوية، وليست تنقصنا - والحمد لله - هذه الروح القوية. فإذا تمت لها بقية وسائلها فالظفر - بمشيئة الله - محتوم.

وقد أثبتت هذه الحرب أن الجندى العربى لم يفقد رجولته ولا شهامته على الرغم من عسف الاستعمار واستبداده، ومحاولته إماتة الروح العسكرية فيه. وظل الجندى العربى محتفظا بكفائته، قويا في حربه، آمينا في وطنيته، مسترخضا نفسه في الذود عن أمته. ولولا ألاعيب السياسة تحد من نشاطه لاكتسح الصهيونية اكتساحاً.

* المقالة للدكتور أحمد أمين في مجلة الثقافة، العدد ٥٠٠، ٢٧ من يوليو ١٩٤٨، ص ٢٠١

وهذه الروح العسكرية هي رأس مال الأمة، فإذا كملت بالذخائر والمعدات والفنون فبشّر الأمة بالعز، وعلو الكلمة، وخير النتائج. وهذا هو ما يجب أن تطمح الدول العربية لتحقيقه. ولا شك أن براعة الجندى العربى التى ظهرت فى هذه الحرب سيحسب لها الغرب حساباً كبيراً، ويبنى على ذلك سياسته المستقبلية فى الشرق.

ثم استفدنا درساً أزال البقية الباقية من غفلتنا إزاء أوروبا وأمريكا؛ فقد كان فينا من لا يزال يؤمن بمبادئ (ولسن) وميثاق الأطلنطى وهيئة الأمم، فأنكشف ستارها، وظهر عوارها، وتبين لكل ذى عينين أن لا عدل عندها ولا إنسانية ولا مبادئ ولا حق. وإنما كل الأمر أمر مصالح، ومصالح وقتية يحددها النظر القصير. فمن كان يطمح من أوروبا وأمريكا أن تقدر الأمور كما يقدرها القاضى العادل، وأن يكون مجلس الأمن محكمة عليا عادلة تنصف المظلوم من الظالم، وترد للضعيف حقه من القوى، فقد تعلق بأوهام، وأمل فى سراب. فليست إنجلترا ولا أمريكا ولا روسيا ولا فرنسا ولا غيرها تنظر إلى المسائل التى تُعرض نظرة قانونى عادل، وإنما تنظر إليه نظرة سياسى طامع.

كل أمة تنظر إلى مصلحتها العاجلة أين هى فيصوّت ممثلها لها ولو خرق عين العدالة. وبعض العرب إلى الآن كانوا يتأثرون بماضيم فى رعاية العدل، وحرمة الحق، ويتأثرون بتعاليم دينهم فى الالتزام بالوعد، والوفاء بالعهد، ويظنون أن الناس كلهم على هذا النمط، ويفوتهم أن السياسة الحاضرة لا عهد لها ولا وفاء ولا صدق، وأن لا بأس عليها أن تقول اليوم ما تنقض غداً، وتعد اليوم ما تخلف غداً، جرياً وراء المصلحة العارضة.

وإذا كان هذا شأنهم فى معاملة بعضهم بعضاً فهم فى معاملة الشرقيين والعرب والمسلمين أشد وأنكى. وأن تاريخ السياسة الفرنسية والإنجليزية فى العالم العربى سلسلة عسف واضطهاد وأكاذيب ونفاق.

وهذه أمريكا ظهرت بعد الحرب فكانت شر الثلاثة. تاريخ فرنسا فى بلاد المغرب يخجل من ذكره الشيطان. وتاريخ إنجلترا فى مصر والسودان وفلسطين وعد وخلف، وقبض وبسط، وظاهر ناعم وباطن غدار، وتحب وتنكر،

وضربة للعرب وضربة لفلسطين، وتشجيع للعرب على القتال حيناً، وتهديد لهم إذا استمروا في القتال حيناً آخر. وهكذا تتلون الحرباء.

وأمریکا تطلع علينا بوجهها البغيض، وكأنَّ بينها وبين العرب ضغناً قديماً، تناصر خصومهم الصهيونيين، وتمكَّن لهم في أرض العرب، وتُمدِّهم بالسلاح، وتضغط على الدول بكل الوسائل شريفها وخسيسها ليقفوا بجانبها حتى ليعجب الناظر من هذا التحمس البالغ، وسبب هذا الحقد الشنيع. ثم هذه الدولة الفتية صاحبة هذه السياسة الخرقاء هي التي تتزعم مجلس الأمن وتحركه وتوجهه نحو الحق والعدل، وحماية الضعيف ونصرة الأمم الصغيرة، والمحافظة على الحريات الأربع! أليس كذلك؟

لقد لدغ العربُ من جحر أوربا وأمريكا مرارا ولم يتعظوا، وكانوا كلما لدغوا مرة قدموا أبدانهم لتلدغ مرة أخرى. فلما كانت حرب فلسطين هذه وشاهدوا على المسرح ضروبا غريبة من الألعاب تلعبها إنجلترا في تحريض العرب على القتال، والتهديد إذا حدث القتال، ونصرة العرب يوما وخذلهم يوما. وألعاب تلعبها أمريكا من ضغط على العرب وضغط على الأمم ليكونوا بجانبها ضد العرب، وتهديد للأمم بالحرمان من المساعدات المالية إذا لم يُصغوا إليها ويشجعوا الصهيونية. ولعبة الوسيط يوجهونه كما يشاءون، ويحركونه كما يريدون، إلى كثير من أمثال هذه الألعاب البهلوانية.

لما شهد العرب هذه الألعاب التي لم يشهدوا مثلها من قبل في أية رواية من الروايات، آلوا على أنفسهم ألا يُخدعوا من أوربا وأمريكا مرة أخرى، وأن يفتحوا أعينهم حتى لا يُلدغوا من الثعبان مرة أخرى، وآمنوا للمرة الأخيرة أن هذه الدول لا يسيرها شرف ولا قانون ولا عدل، وإنما هي المصلحة، وأن هذه الدول لا تحترم إلا القوة، فليقووا أنفسهم، فإذا قووها كانت مصلحة هذه الدول في مصادقتها، وكان لهم هم الحق في اختيار من يصادقون.

هذا ما ربخنا من الحرب. وهو ربح - لو تعلمون - عظيم.

نجد في بداية المقالة مقدمة موجزة وهي: «وقف القتال في فلسطين نزولا على حكم مجلس الأمن. وبهذا تمت مرحلة من مراحل الجهاد يصح أن نقف عندها لتأمل في أحداثها، ونرى موضع العبرة فيها». وبعدها تناول الكاتب

موضوعه بالشرح، وسرد المعلومات، واتخاذ العبرة منها إلى أن انتهى إلى خاتمة قصيرة يقول فيها: «هذا ما ربخنا من الحرب. وهو ربخ - لو تعلمون - عظيم».

والمقالة موضوعية في مجملها، ولكننا نلمح في ثناياها تعبيرات للكاتب بصيغة الجمع متحدثا فيها عن العرب مثل قوله: «ثم استفدنا درسا» وقوله: «فقد كان فينا».

أفكار المقالة:

١ - الهدف الأساسي من المقالة هو استخلاص عدة دروس للعرب من حرب فلسطين في عام ١٩٤٨؛ فأبان عن هذه الدروس في الجوانب التالية: -
أ - أهمية الوحدة العربية في قضية فلسطين لمجابهة وحدة الصهيونيين المبكرة.

ب - ضرورة الأخذ بجانب القوة المادية إلى جانب الروح المعنوية التي اعتمد عليها العرب، مع تطبيق مبدأ التنظيم والتخطيط.

ج - الدعوة ليقظة العرب، والمصارعة في حل مشكلاتهم.

د - المخاربة بسلاح العلم، ونبذ سياسة الارتجال.

هـ - إظهار شجاعة الجندي العربي، وبيان أهمية إكمال هذه الروح العالية بالمعدات العسكرية والفنون الحربية. أما النتيجة السيئة لحرب فلسطين فإن سببها يرجع إلى الظروف السياسية التي حدثت من نشاط الجندي العربي.

و - إظهار حقيقة السياسة العالمية بصراحة أمام العرب كي يتبينوا في أي عالم يعيشون.

ز - تذكير العرب بمؤامرات دول الغرب إزاءهم، وتنبيههم إلى أساليبهم الملتوية في معالجتهم لقضايا العرب.

ح - الدعوة إلى الأخذ بوسائل القوة؛ فهي الأساس في المعاملات الدولية.

أسلوب المقالة:

١ - يظهر في أسلوب المقالة الهدوء، والوضوح، والاتزان الفكري، والثقة المبنية على الفهم.

٢ - نلاحظ في طريقة تناول الكاتب للمقالة ثقافته المستوعبة لعدة جوانب سياسية واقتصادية وفكرية.

٣ - أبان الكاتب عن أفكاره بالشرح وبضرب الأمثلة من التاريخ الحديث في إشارات دالة ومقنعة.

٤ - ألفاظ المقالة بريئة من الغرابة، وتعبيراتها بعيدة عن التكلف، وتراكيبها سهلة سلسلة.

٥ - نرى سخرية الكاتب من العرب في اعتمادهم التام على الغرب في قوله: «وكانوا كلما لدغوا مرة قدموا أبدانهم لتلدغ مرة أخرى».

٦ - نجد في المقالة ألفاظا وجملاً مترادفة أملتها الطبيعة الأدبية على الكاتب عندما يعتمد إلى موضوع ذى طابع سياسى كموضوعنا هذا مثل قوله: «عسف واضطهاد». «فانكشف ستارها، وظهر عوارها». «فقد تعلق بأوهام، وأمل في سراب». «ولعبة الوسيط يوجهونه كما يشاءون، ويجركونه كما يريدون».

٤ - مقالة بعنوان: (أهى حرب صليبية؟)*

«الآن قد برح الخفاء، وظهر لكل ذى عينين كيف تسير سياسة العالم في هذه السنين. ولقد كنا من قبل نظن ونحسب ونخشى، ولكن الحوادث قد دللتنا بعد مواقف شتى عنيفة أن هذا العالم الذى نعيش فيه اليوم عالم تسوده سياسة الأنانية والمادية التى تكاد تكون وحشية.

لقد لحنا فيما مضى من سياسة هذا العالم أن دول الغرب تقف منا موقفا يذكرنا دائما بالحروب الصليبية، وإن كان يحاول دائما أن يخفى ذلك الموقف تحت ستر مختلفة من الرياء والتعالى والألفاظ البراقة الجوفاء.

وكنا كلما بدا لنا من الغرب ذلك العداء العميق نظرنا إلى ما حولنا في حيرة تكاد تشبه البلاهة، وترددنا فى أن نصدر حكمننا الصحيح، ونرسم سياستنا بما يناسب الحقيقة التى تبدى لنا طرف منها، ثم نرد أنفسنا من حافة اليقين إلى التشكك، والتماس أسباب أخرى لما نراه تحت أعيننا، حتى ساء ظننا فى بعض الأحيان بأنفسنا، وقلنا لعل العيب فىنا نحن، لا فى تلك الدول الكبرى المتمدنة.

* المقالة محمد فريد أبو حديد فى مجلة الثقافة، العدد ٥٠٣، ١٧ من أغسطس ١٩٤٨، ص ١، ٢

وقد طالما علَّلنا أنفسنا بتعللات واهية لكيلا نفقد الأمل في عدالتها وكرامتها؛ فكنا كلما أزمّت أزمة هددت تلك الدول الغربية وقفنا منها موقف النزاهة والأمانة والصدق، لعلها تجعلنا من الأمم الصديقة، فنخلص لنا كما أخلصنا لها، وتصدق في معاملتنا كما صدقنا في معاملتها، وتتعاون معنا كما تعاوننا معها، ولكنّا كنّا نعود في كل مرة فنلوم أنفسنا على ما قدمنا من إحسان وصدق، وتبيننا لو كنا من قبل أكثر جرأة، وأبعد نظراً، ولكن هيهات أن يفيد ندم بعد فوات الفرص.

ولسنا نقول هذا قولاً جزافاً، فما نحن في هزل ولا في فراغ للقول الجازف؛ فالبراهين بين أيدينا لا تحتاج إلى تكلف في أن تدعم حجتنا؛ فالحوادث منذ أول هذا القرن، أو منذ أواخر القرن الماضي تدل على أن دول الغرب تشن علينا حرباً دائمة في أيام حربها وفي أيام سلمها. فلنبداً بتذكر أيام الحرب العالمية الأولى؛ فهي أولى النكبات الكبرى التي حلت بنا.

كنا في سنة ١٩١٤ أمة مستقلة يقيم فينا الاحتلال مقاما غير شرعي، مازلنا نجاهد في سبيل إزالته، والتخلص من قيوده. وكانت البلاد العربية الأخرى تابعة للدولة العثمانية التي كانت إذ ذاك تعاني آثار حكم السلاطين الاستبدادي. فلما قامت الحرب الكبرى بدأت دول الغرب في دعاية طويلة عريضة تُحرّض على هدم الدولة العثمانية بكل ما أوتيت من دهاء وقوة.

وكانت أخطر حججها هي الحجة التي تقوم على بعض الحقيقة. حقا لقد كان الحكم العثماني القديم فاسداً، ولكن التخلص من الحكم الفاسد قد يؤدي إلى ما هو أشد منه فساداً. وهذا ما كان بعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها.

فلما زال الخطر الذي كان يهدد دول الغرب عُدنّا ننتظر ما يأتي به الغد، فإذا الشعب العربي الذي ساعد أكبر المساعدة على هدم الدولة العثمانية يرى نفسه معرضاً لما هو أشد من الاستبداد العثماني؛ فقد أدخلت دول الغرب إلى العالم العربي العناصر اليهودية الخطيرة، وقسمت بلاد الشام فيما بينها، وحاولت بريطانيا أن تسيطر على حياة العراق، وتزيد سلطانها في مصر، فوجدنا أنفسنا مضطرين إلى معركة سياسية عنيفة لكي نتدارك خطأنا. ألم يكن ذلك خطأً

كبيراً أن وثقنا بدول الغرب، وعاديننا الحكم العثماني على ما فيه من مظالم؟. إن النكبة التي أصابت الأمم العربية منذ ذلك العهد ما تزال تكدح في حياتنا، وتقعّد بنا عن الاهتداء في سبيلنا. فإننا إذا قسنا حال بلاد فلسطين اليوم بحالها في أيام الدولة العثمانية بدا لنا أن حكم دول الغرب لم يعقب لها إلا فقرًا ودمارًا وآلامًا. وأما سائر الأقطار العربية فحسبها داء الصهيونية همًّا في ليلها ونهارها، وفي إصباحها وإمسائها.

لقد كان وثوق العرب بمواعيد دول الغرب، ومساعدتها على سقوط الحكم العثماني نكبة عظيمة، وكنا جديرين بأن نتأمل تلك النكبة فلا نتق مرة أخرى بمواعيد تلك الدول، ولا نتعاون أبداً معها. ولكننا لم نتعظ بتلك النكبة الأولى، فلما جاءت هذه الحرب العالمية الثانية، وأحسّت الدول الغربية بالخطر يهدد حياتها مرة أخرى، عُذّنا إلى ترددنا القديم نتساءل: أهذه الدول إنسانية حقاً كما تدعى؟

ووقعنا في الخطأ نفسه فألقينا بأنفسنا في تيارها، وقدمنا لها كل ما عندنا من قوة ومال، وفسحنا لجنودها في ديارنا، وحبوناها بكل ما في قلوبنا من إخلاص. نعم فعلنا ذلك، ويكذب من يقول غير هذا.

وإننا لنذكر مع الأسف الشديد موقفنا في مصر وسائر بلاد العرب عندما وقف الألمان منتصرين عند حدودنا الغربية. لقد وقفنا عند ذلك في غرارة البلهاء ونصيح بأعلى أصواتنا قائلين: إننا حلفاء دول الغرب، وإنها دول إنسانية ديمقراطية، وما ينبغي لنا أن نخونها، ولا أن نتردد في تحمل نصيبنا من كوارث الحرب معها. ثم تحول النصر إليها. وكان موقفنا في ساعات الحرج من أقوى ما ساعد على تحقيق ذلك النصر لها. ثم ماذا؟

هذه هي دول الغرب تقف منا اليوم موقفها هذا. إنها تقف منا موقفًا لا نستطيع أن نصفه إلا بأنه موقف يذكّرنا بأيامها الجاهلية أيام حروبها الصليبية القديمة. هذه هي أمريكا، وهذه هي إنجلترا تقفان منا موقف المُخَذَّل الذي يساعد عدونا، ولا يجروء على كلمة صدق، ولا حركة عدالة في نصر قضيتنا العادلة، وهي ترى عصابة الصهيونيين تفتك بنا، وتشرّد أطفالنا وشيوخنا ونساءنا، وتفعل الأفاعيل التي تقشعر منها الإنسانية حنقا، ومع ذلك فهي تعين

الظالمين علينا، ولا تخجل من إنسانيتها، ومع ذلك فنحن نكاد نلتبس الأعذار لها بحجة أن الصهيونية مهيمنة عليها، وأن أحزاب أمريكا تخشى نفوذ اليهود في بلادها، وتملقهم لإحراز النصر في الانتخابات المقبلة. ألا ما أشد سذاجتنا! إنها عاطفة الحروب الصليبية الأولى التي لا تزال تحرك سياسة دول الغرب علينا، فلا ترضى لنا أن نعود أمة كريمة قوية كما كنا.

وما أجدرنا بأن نفتتح الآن أعيننا على الحقيقة المرة، فلا نحاول أن نخادعها، ولا أن نمضى في مكابرة أنفسنا. إنها حرب صليبية تشنها دول الغرب علينا. والواجب يقتضى منا أحد أمرين لا ثالث لهما: فإما أن نقوم بدعاية قوية في تلك البلاد لكي ندلها على أن عهد الحروب الصليبية قد مضى وانقضى. وإما أن نخالف الشيطان نفسه إذا كان الشيطان ينصرنا على هذه السياسة القاسية الظالمة.

هذه مئات الآلاف من بنى الإنسان في فلسطين وحول فلسطين وهم بقايا أمة مشردة من شيوخ ونساء وأطفال يتعرضون للجوع والعراء والمرض. وهذا الشتاء يوشك أن يخل بهم بعد الخريف وماتزال أصواتنا بعيدة عن الوصول إلى أسماع أحد. فهل فلسطين وأهلها من نساء وشيوخ وأطفال أحياء من البشر من بنى الإنسان الذين تنعطف عليهم قلوب سائر الإنسان. أم هم من الوحوش التي يُراد إفنائها. أم أن قلوب دول الغرب قد أغلقت حتى لا تؤثر فيها الآلام التي يعانيها هؤلاء؟

ألا ليت أصواتنا تستطيع أن تصل إلى أسماع شعوب تلك الدول الغربية؛ وليت صور البؤس والشقاء التي تمثل ما يعانيه أهل فلسطين تستطيع أن تعرض تحت عيون نساء دول الغرب وشيوخها وأطفالها، فتطلعهم على قسوة سياستهم وأنانيتهم.

إن أول ما ينبغي لنا في هذه الأوقات العصيبة هو أن نجرد كل قوانا لعرض ما يقاسيه إخواننا أهل فلسطين على الرأى العام في دول الغرب، وأن نعمل بكل ما في طاقنا لإسماع أصواتنا، وإبلاغ الحقائق لشعوب تلك الدول، فلعل مناظر البؤس الذى يعانيه إخواننا تحرك في أبنائنا وبناتها شعور الإنسان نحو الإنسان. فإذا نحن قمنا بتلك الدعاية، وأدينا واجبنا في البلاغ المبين، وأظهرنا أننا نكافأ

أقصى مكافأة، وأشدّها ظلماً على إخلاصنا ومساعدتنا في أيام بؤس الدول الغربية وكرهها. إذا فعلنا ذلك ثم لم نجد إلا آذانا صماء، وعيونا عمياء لم يبق أماننا إلا الاختيار الأخير، اختيار المضطر الذي يركب الوعر من الأمور وهو عالم بركوبه، فنحالف عندئذ كما قلنا أى حليف يساعدنا على الحياة، وإن يكن ذلك الحليف هو الشيطان. فهل تبلغ هذه الكلمة إلى قرارة النفوس؟ وهل تجد عند ساسة العرب سمعاً؟».

* * *

في بداية المقالة مقدمة طويلة من قوله: «الآن قد برح الخفاء» إلى قوله: «سياسة الأنانية والمادية التي تكاد تكون وحشية». ويأخذ الكاتب في معالجة موضوعه عن صلة حرب فلسطين بالحروب الصليبية، حتى يصل إلى نهاية المقالة بدون خاتمة واضحة لها.

والمقالة موضوعية، وإن كان قلم الكاتب جنح كثيراً إلى التعبير عن الذاتية العربية في عدة مواضع مثل قوله: «لقد لمحنا فيما مضى»، وقوله: «وكنا كلما بدا لنا من الغرب»، وقوله: «وقد طالما علّلنا أنفسنا»، وقوله: «ولسنا نقول هذا قولاً جزافاً»، وقوله: «ووقعنا في الخطأ نفسه»، وقوله: «ألا ليت أصواتنا» وغيرها.

أفكار المقالة:

١ - عالج الكاتب موضوع قضية فلسطين من خلال منظور تاريخي هو نظرة الغرب إلى العرب التي تمثل نظرة الصليبيين إلى المسلمين. ومن خلال هذا المنظور أبان الكاتب عن المساندة الكاملة التي قدمتها دول الغرب لليهود في فلسطين، تلك المساندة التي كانت السبب الأساسي في قيام شأنهم هناك.

٢ - أجاب الكاتب عن تساؤله في عنوان المقالة: (أهي حرب صليبية؟) بالإيجاب، مبيناً أنها حرب صليبية تشنها دول الغرب على العرب.

٣ - برهن الكاتب على صحة أفكاره في المقالة بعرض حوادث تاريخية منذ بداية الحرب العالمية الأولى، وما تلاها من تطورات، مروراً بالحرب العالمية

الثانية، حتى حوادث فلسطين في عام ١٩٤٨. وقد أحسن الكاتب الاستفادة من هذا العرض.

٤ - قَدَّم الكاتب حلَّين واضحين شارحاً هُما، وهما: الدعاية القوية لشرح قضية فلسطين في الدول الغربية، أو محالفة الشيطان إن كان سيعيننا في قضيتنا. والحلَّان - على وجهتهما - فيهما حُسْن نية من الكاتب؛ لأنَّ المنتبِع لقضية فلسطين يتبين له أنَّ القوى الدولية على اختلاف مذاهبها وتباين أنظمتها كانت مع اليهود ضد العرب. وما أصدق مقالة نقولها الحداد بعنوان: (أيها العرب اعلّموا أنَّ العالم كله يحاربكم).

أسلوب المقالة:

١ - يُفصح قلم الكاتب عن أسلوب أديب من طراز خاص هو طراز الميل إلى السرد القصصي، وإيراد الحوادث في عبارات واضحة شارحة.

٢ - أسلوب المقالة هادئ، ويُحس فيه القارئ بأنَّ الكاتب وأُسفه على نظرة الغرب الظالمة للعرب. ولا يخلو أسلوب الكاتب نفسه من استجداء دول الغرب في قوله: «فلعل مناظر البؤس الذي يعانيه إخواننا تُحرك في أبنائها وبناتها شعور الإنسان نحو الإنسان».

٣ - نَدَّت عن قلم الكاتب عدة تعبيرات تحتاج لمراجعة مثل: (الأمم العربية). وهذا التعبير وإن كان سائداً آنذاك فإنَّ صوابه هو (الدول العربية) أو (الأقطار العربية) فالعرب أمة واحدة. ومثل: (مواعيد دول الغرب) والأدق في التعبير (وعود دول الغرب)؛ لأنَّ الدول الغربية كانت حريصة على ألا تُلزم نفسها بمواعيد محددة في علاقاتها مع العرب، وكل ما كانت تعطيه لهم مجرد وعود.

وفي النهاية نرى أنَّ هذه المقالة لم تحظ - في معالجة الموضوع أو في الأسلوب - بمستوى القوة والجودة اللذين نجدهما قد تحققا في النماذج الثلاثة السابقة.

تقويم

وقفنا - من خلال عرضنا لوظيفة المقالة الأدبية نحو قضية فلسطين في عام ١٩٤٨ - على أنها تناولت جوانب عديدة من القضية تتمثل في بيان جانب الدين من القضية، وإظهار المشاعر العربية نحو النكبة، وبيان صفات الصهيونيين، والتحذير من خطر الصهيونية على العروبة والإسلام، ومناقشة حجة اضطهاد اليهود وتفنيدها، وإثارة موضوع اليهود المقيمين في البلاد العربية، وشرح مأساة اللاجئين الفلسطينيين وتقديم حل عملي سريع لهم، واستشارة النخوة العربية، وتأكيد حق العرب في قضيتهم وموازنته بباطل اليهود، وتبصير العرب بموقف هيئة الأمم المتحدة من القضية والتنديد بهذا الموقف، وكشف سياسة الإنجليز الخادعة للعرب، ورصد تطورات القضية، وتنبيه العرب لسياسة الأمر الواقع التي أفاد منها اليهود، وتحية شهداء فلسطين، ودعوة العرب إلى الثقة بالنفس، وشرح لواجبات العرب نحو قضيتهم. فضلاً عن إيراد نماذج كاملة للمقالة الأدبية في قضية فلسطين لأربعة من أشهر الكتاب.

ويتبين لنا من خلال ذلك كله ما يلي :-

١ - أن الأدب المقالى نحو قضية فلسطين كان في مقدمة ألوان الأدب نتاجاً وهديراً وخصباً، وهو الذى عكس بدرجة أدق وبصورة أوضح تطورات القضية وملابساتها، وأبان عن دور كاتب المقالة الذى يرى أن قضايا قومه، ومشكلات مجتمعه قضاياها هو ومشكلاته هو التى تشغل عقله، وتثير وجدانه، وتنشط قلمه، فلا جرم أن يعطيها ما تستحقه من العناية والاهتمام.

فالمقالة الأدبية أدت وظيفتها إذن نحو قضية فلسطين باستقصاء ووضوح، وأمانة وصدق، وفهم ووعى. وقد تطلب ذلك من الكاتب المقالى جذوة من الشعور والفكر معاً يقدمها لقرائه من خلال مقالته.

٢ - يُلاحظ على المقالات - بصفة عامة - أنها تتفق في صدق العاطفة، وقوة

الإيمان بعدالة القضية. أما في طريقة التعبير فهي تختلف باختلاف الكُتّاب وثقافتهم وظروفهم النفسية التي كتبوا فيها مقالاتهم؛ فهناك مقالات عبّرت عن صاحبها في انفعال وجِدّة، ومقالات أخرى عبّرت في هدوء وروية.

٣ - كان الإحساس السائد في الفترة من يناير ١٩٤٨ إلى قيام إسرائيل في الخامس عشر من شهر مايو عام ١٩٤٨ - على الرغم من خطورة الموقف - بأن قيامها بعيد التحقيق. ومن هنا كانت الصدمة بعد ذلك التاريخ الأخير قاسية أشد القسوة على النفس العربية؛ فكانت المقالة الأدبية تنضح بالحسرة، وتنطق بالألم.

٤ - يظهر من تتبع المقالات الأدبية عن القضية أنها دقت ناقوس الخطر، وحذرت من نتائج التهاون، ونهت إلى جوانب النقص في خطط العرب العسكرية وممارساتهم السياسية، وأهمية علاج ذلك النقص.

٥ - مشاركة كثير من أدباء البلاد العربية بمقالاتهم مشاركة ملحوظة في تناول القضية في المجلات الأدبية في مصر مثل: نقولا الحداد، وشكري فيصل، وعلى الطنطاوى، وحسنى كنعان، وعلى محمد سرطاوى، وعمر حليق، وصبحى إبراهيم الصالح، وعدنان الكيالى، وغيرهم.

٦ - كان تجاوب القراء مع المقالات الأدبية التى نُشرت عن القضية واضحاً، ووجدنا منهم التحية الحارة، والتشجيع المؤازر للكُتّاب المهتمين بالقضية، ودعوة أصحاب الأقلام الأخرى للمشاركة فيها.^(١)

٧ - من الأقلام الرائدة الواعية التى تبنت القضية، وألقت على جوانبها الأضواء، ونهت لخطورة الأوضاع قلم نقولا الحداد الصيدلى الأديب.^(٢)

(١) انظر مجلة الرسالة باب البريد الأدبي، العدد ٧٧٥ في ١٠ من مايو ١٩٤٨، والعدد ٨٠٢ في ١٥ من نوفمبر ١٩٤٨.

(٢) وُلد نقولا الحداد في لبنان في عام ١٨٧٢، وتوفى في مصر في عام ١٩٥٤. درس الصيدلة في الجامعة الأمريكية ببيروت، وأصدر عدة جرائد في لبنان، ثم سافر إلى مصر، وأنشأ صيدلية في القاهرة، وعمل بالصحافة المصرية. وتولى رئاسة تحرير (المقتطف) خلال الفترة من يونيو عام ١٩٥٠ إلى نوفمبر من العام نفسه.

وكان أكثر من كتابة المقالات، ومن التأليف والترجمة. وقد بلغت مؤلفاته وترجماته نحو ستين كتاباً.

يسنده في ذلك علم واسع، وخبرة طويلة بالقضية، وفهم لظروفها وملاساتها. ولم يقتصر في نشر مقالاته على مجلة واحدة بل كان ينشر في (الرسالة) و(الكتاب) و(المقتطف). وهو صاحب أكبر عدد من المقالات التي نُشرت عن القضية في المجلات الأدبية بمصر في عام ١٩٤٨، إذ بلغت مقالاته سبعاً وعشرين مقالة.^(٣)

وكان من أثر نشر مقالاته وأهميتها أن قام عباس محمود العقاد بالتعليق عليها، كما ظهر في النموذج الثاني من التماذج الكاملة للمقالة. وترجم محمد خليفة التونسي (برتوكولات شيوخ صهيون العلماء) إلى العربية لتنبية الحداد إلى خطورتها كما أوضح التونسي في مقالته (الخطر اليهودي).^(٤)

ولا يقتصر الأمر - بطبيعة الحال - على نقولا الحداد وحسب، بل أسهم كثير من المقالين في القضية بصورة واضحة مثل أحمد حسن الزيات، وأحمد أمين، وعباس محمود العقاد، ومحمد فريد أبو حديد، وعبد الوهاب عزام، ومحمود محمد شاكر، وغيرهم كما يظهر من ملحق البحث.

٨ - أما عن موقف المجلات الأدبية التي عُنت بقضية فلسطين فتقف مجلة (الرسالة) في مقدمة هذه المجلات؛ فقد أعطتها ما تستحق من العناية والاهتمام في أمانة والتزام، وقدمت في خلال عام ١٩٤٨ ستاً وخمسين مقالة عن القضية. وعجز اليهود عن استئثارها أو إسكاتهم كدأبهم مع أصحاب الصحف وكُتّابها، ولم تنشر إعلاناً واحداً لمؤسسة تجارية لها صلات باليهود، حفاظاً منها على أداء رسالتها نحو القضية. كما عكست تطورات القضية بصدق ووضوح إبان اشتداد الأزمة.^(٥)

(٣) انظر ملحق البحث.

(٤) انظر المقالة بمجلة الرسالة، العدد ٨٥٦، في ٢٨ من نوفمبر ١٩٤٩، ص ١٦٥٣، ١٦٥٤.

(٥) على سبيل المثال نجد العدد رقم ٧٧٦ بتاريخ ١٧ من مايو ١٩٤٨ قد نُشرت فيه أربع مقالات عن القضية من تسع مقالات في العدد. وهذه المقالات الأربع هي:

١- لن هذه القوة في فلسطين لأحمد حسن الزيات.

٢- الغيظ المخزون لنقولا الحداد.

٣- عار لا يُمحى لشكري فيصل.

٤- القول للسيف لحسنى كنعان.

وتلي مجلة (الثقافة) (الرسالة) في عنايتها واهتمامها بالقضية؛ فقد قدمت (الثقافة) في العام نفسه أربعين مقالة.

ثم تتقاسم مجلتا (الكتاب) و(الهلال) الاهتمام بالقضية بعد (الرسالة) و(الثقافة)؛ فقد قدمت كلُّ من (الكتاب) و(الهلال) ثمانى مقالات في الفترة نفسها، وخصصت (الهلال) عدد يوليو ١٩٤٨ لدراسة القضية من جوانبها المختلفة.

وقدمت مجلة (الأزهر) مقالتين فقط عن القضية في خلال عام ١٩٤٨، مع أن للقضية جانباً دينياً مهماً يدخل في إطار رسالة المجلة في تقديم الفكر الدينى، ونشر التوعية الدينية بالقضايا التي تهم المسلمين.

ويلاحظ أن مجلة (المقتطف) لم تنشر مقالاً واحداً عن القضية في خلال عام ١٩٤٨، مع أنه كان عاماً حاسماً في حياة الأمة العربية، وكانت القضية محل اهتمام المفكرين والأدباء.^(٦)

والملاحظة نفسها تنطبق على مجلة (الكاتب المصرى)؛ فهي لم تقدم مقالة واحدة عن القضية من يناير ١٩٤٨ إلى مايو ١٩٤٨ (تاريخ احتجاجها). وقد أثار ذلك الموقف كثيراً من الشك حولها.^(٧)

(٦) اهتمت المقتطف بالقضية بعد تولى نقولا الحداد رئاسة تحريرها بعد ذلك (من يونيو ١٩٥٠ إلى نوفمبر ١٩٥٠).

(٧) انظر على سبيل المثال:

عمر حليق في مقالته بعنوان (الصهيونية هي الخطر الأول في حاضر الشرق العربى ومستقبله) بمجلة الرسالة، ص ١٣٩٥

وعلى شلش في الدراسة التي قدمها بعنوان (المتفقون المصريون في الأربعينيات وموقفهم من الصهيونية) بمجلة (المجلة) السعودية الأسبوعية على حلقتين، في العدد ١٣٩، بتاريخ أكتوبر ١٩٨٢، ص ٧١-٧٤، والعدد ١٤٠، بتاريخ أكتوبر ١٩٨٢، ص ٧٢-٧٥.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب:

- ١ - إبراهيم عبد القادر المازني: صندوق الدنيا، القاهرة، مطبعة الترقى، ١٩٢٩
- ٢ - د. أحمد أمين ود. زكي نجيب محمود: قصة الأدب في العالم، الجزء الثاني، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٥.
- ٣ - أحمد الشايب: الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٢.
- ٤ - أنيس المقدسي: الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٠.
- ٥ - أنيس المقدسي: الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٣.
- ٦ - حسين مرّوة: مع القافلة، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٢.
- ٧ - أبو حيان التوحيدى: البصائر والذخائر، المجلد الأول، تحقيق وتعليق الدكتور إبراهيم الكيلاني، دمشق، مكتبة أطلس، ١٩٦٤.
- ٨ - أبو حيان التوحيدى: الصداقة والصدق، شرح وتعليق على متولى صلاح، القاهرة، مكتبة الآداب بالجماميز، ١٩٧٢.
- ٩ - د. زكي نجيب محمود: جنة العبيط، بيروت، دار الشروق، ١٩٨٢، ط ثانية.
- ١٠ - د. زكي نجيب محمود: فنون الأدب، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٩، ط ثانية.
- ١١ - د. سعد مصلوح: الأسلوب، دراسة لغوية إحصائية، الكويت، دار البحوث العلمية (مطبعة حسان بالقاهرة) ١٩٨٠.

- ١٢ - سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، بيروت، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٦٦، ط رابعة.
- ١٣ - د. شكرى محمد عياد: القصة القصيرة في مصر، دراسة في تأصيل فن أدبي، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٨.
- ١٤ - د. شكرى محمد عياد: مدخل إلى علم الأسلوب، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٩٨٢، ط أولى.
- ١٥ - عباس محمود العقاد: فرنسيس باكون (المجلد التاسع عشر من المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد) بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨١.
- ١٦ - عباس محمود العقاد: يسألونك، لبنان، دار الكتاب العربى، ١٩٦٨.
- ١٧ - عبد السلام المسدى: الأسلوبية والأسلوب، نحو بديل ألسنى في نقد الأدب، الدار العربية للكتاب (ليبيا - تونس)، ١٩٧٧.
- ١٨ - د. عبد اللطيف حمزة: أدب المقالة الصحفية في مصر، الجزء الثانى، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٥٠.
- ١٩ - د. عبد اللطيف حمزة: الصحافة والأدب في مصر، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٥.
- ٢٠ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البخلاء، تحقيق وتعليق طه الحاجرى، القاهرة، دار الكاتب المصرى، ١٩٤٨.
- ٢١ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الجزء الثانى، القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٩٦٤.
- ٢٢ - د. عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه، دراسة ونقد، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٦٥.
- ٢٣ - عمر الدسوقي: فى الأدب الحديث، الجزء الأول، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٦٤، ط سادسة.
- ٢٤ - عمر الدسوقي: نشأة النثر الحديث وتطوره، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٢.
- ٢٥ - د. محمد عوض محمد: محاضرات عن فن المقالة الأدبية، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٩.

- ٢٦ - د. محمد كامل جمعة: الأسلوب، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٣، ط ثانية.
- ٢٧ - د. محمد كامل جمعة: مونتاني من مقالاته الأدبية، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٥٨.
- ٢٨ - د. محمد مندور: الأدب وفنونه، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٣.
- ٢٩ - د. محمد مندور: محاضرات عن المقالة الأدبية، أقيمت بقسم البحوث والدراسات الأدبية واللغوية بمعهد البحوث والدراسات العربية في عام (١٩٦٥/٦٤)
- ٣٠ - د. محمد يوسف نجم: فن المقالة، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٧.
- ٣١ - نبيه صقر: مونتاني، حياته - فلسفته - منتخبات، بيروت، منشورات عويدات، ١٩٦١ ط أولى.

ثانيا: الدوريات:

- ١ - د. أحمد أمين: الشيطان رجل الساعة، مجلة الهلال، المجلد الستون، الجزء الثالث، مارس ١٩٥٢.
- ٢ - د. أحمد أمين: ماذا استفدنا من حرب فلسطين؟، مجلة الثقافة، العدد ٥٠٠، ٢٧ من يوليو ١٩٤٨.
- ٣ - أحمد حسن الزيات: حكم من أحكام الله، مجلة الرسالة، العدد ٧٩٧، ١١ من أكتوبر ١٩٤٨.
- ٤ - أحمد حسن الزيات: مالى لا أكتب، مجلة الرسالة، العدد ٧٩٣، ١٣ من سبتمبر ١٩٤٨.
- ٥ - أحمد حسن الزيات: مثل المهذبين من بنى آدم، مجلة الرسالة، العدد ٨٠٤، ٢٩ من نوفمبر ١٩٤٨.
- ٦ - أحمد حسن الزيات: المسلمون في معترك الخطوب، مجلة الرسالة، العدد ٧٥٧، ٥ من يناير ١٩٤٨.
- ٧ - أحمد حسن الزيات: من علامات الساعة، مجلة الرسالة، العدد ٧٧٤، ٣ من مايو ١٩٤٨.

- ٨ - د. أحمد زكى: وسطاء السلام، مجلة الثقافة، العدد ٤٩٥، ٢٢ من يونيو ١٩٤٨.
- ٩ - د. إسحاق موسى الحسينى: رجل يخرج النور من فمه، مجلة المجلة، العدد ٤٤، أغسطس ١٩٦٠.
- ١٠ - أمير بقطر: كيف تكتب مقالاً يُقرأ؟، مجلة الهلال، المجلد ٥٧، الجزء ٢، فبراير ١٩٤٩.
- ١١ - إيليا نعمان حكيم: دراسة عن كتاب المقالات لمونتين، سلسلة تراث الإنسانية، القاهرة، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، المجلد الخامس، الجزء ٢ - الثانى والثالث، ٥ من فبراير ١٩٦٧، ٥ من مارس ١٩٦٧.
- ١٢ - حبيب جاماتى: مواكب الشهداء، مجلة الهلال، المجلد ٥٦، الجزء ٧، يوليو ١٩٤٨.
- ١٣ - حسنى كنعان: القول للسياف، مجلة الرسالة، العدد ٧٧٦، ١٧ من مايو ١٩٤٨.
- ١٤ - د. زكى نجيب محمود: جناية الصحافة على الأدب، مجلة الثقافة، العدد ٥٩١، ٢٤ من أبريل ١٩٥٠.
- ١٥ - شكرى فيصل: عار لا يُمحى: مجلة الرسالة، العدد ٧٧٦، ١٧ من مايو ١٩٤٨.
- ١٦ - صبحى إبراهيم الصالح: لك الله أيها العربى، مجلة الرسالة، العدد ٧٩٨، ١٨ من أكتوبر ١٩٤٨.
- ١٧ - عباس محمود العقاد: أدب المقالة، مجلة الرسالة، العدد ٧٨٧، ٢ من أغسطس ١٩٤٨.
- ١٨ - عباس محمود العقاد: إلى ساسة الأمم المتحدة، مجلة الكتاب، الجزء الثامن، السنة الثالثة، أكتوبر ١٩٤٨.
- ١٩ - عباس محمود العقاد: الشخصية الحافظة، مجلة الهلال، يوليو ١٩٦٣.
- ٢٠ - عباس محمود العقاد: شوق فى الميزان بعد خمس وعشرين سنة، مجلة الهلال، المجلد ٦٥، الجزء ١٠، ١٩٥٧.
- ٢١ - عباس محمود العقاد: على فيض البخيل، صحيفة الأساس، ٢٩ من أكتوبر ١٩٥٠.

- ٢٢ - عباس محمود العقاد: على يوسف، مجلة المجلة، العدد ٦٧، أغسطس ١٩٦٢.
- ٢٣ - عباس محمود العقاد: قضية مكسوبة، مجلة الرسالة، العدد ٧٨٥، ١٩ من يوليو ١٩٤٨.
- ٢٤ - عباس محمود العقاد: مصطفى لطفى المنفلوطى كما عرفته، مجلة المجلة، العدد ٧٠، نوفمبر ١٩٦٢.
- ٢٥ - عباس محمود العقاد: يد من حديد فى ذراع من جريد، صحيفة البلاغ اليومية، ٥ من يوليو ١٩٢٨.
- ٢٦ - عبد المنعم خلاف: حديث إلى العرب، مجلة الرسالة، العدد ٨٠٦، ١٣ من ديسمبر ١٩٤٨.
- ٢٧ - د. عبد الوهاب عزام: الفريقان المتحاربان فى فلسطين: الكرم واللؤم، مجلة الرسالة، العدد ٧٧٨، ٩ من أغسطس ١٩٤٨.
- ٢٨ - عدنان الكيال: اضطهاد اليهود، مجلة الثقافة، العدد ٤٨٢، ٢٣ من مارس ١٩٤٨.
- ٢٩ - على حيدر الركابى: الجمل اليهودى وسَمّ الخياط، مجلة الرسالة، العدد ٩٧١، ١١ من فبراير ١٩٥٢.
- ٣٠ - على رفاعة الأنصارى: مركب النقص عند اليهود، مجلة الثقافة، العدد ٥٠٢، ١٠ من أغسطس ١٩٤٨.
- ٣١ - على شلش: المثقفون المصريون فى الأربعينيات وموقفهم من الصهيونية، مجلة (المجلة) السعودية الأسبوعية، العددان ١٣٩، ١٤٠، أكتوبر ١٩٨٢.
- ٣٢ - على محمد سرطاوى: مذبحه الأبرياء فى قرية دير ياسين، مجلة الرسالة، العدد ٧٧٥، ١٠ من مايو ١٩٤٨.
- ٣٣ - عمر حليق: الصهيونية هى الخطر الأول فى حاضر الشرق العربى ومستقبله، مجلة الرسالة، العدد ٨٠٦، ١٣ من ديسمبر ١٩٤٨.
- ٣٤ - محمد خليفة التونسى: الخطر اليهودى (بروتوكولات شيوخ صهيون العلماء)، مجلة الرسالة، العدد ٨٥٦، ٢٨ من نوفمبر ١٩٤٩.
- ٣٥ - محمد عبد الله عنان: الخطر الذى نكافحه، مجلة الثقافة، العدد ٤٩٥، ٢٢ من يونيو ١٩٤٨.

- ٣٦ - د. محمد عوض محمد: بين السلم والحرب، مجلة الثقافة، العدد ٤٩٣، ٨ من يونيو ١٩٤٨.
- ٣٧ - د. محمد عوض محمد: عيد بأية حال عدت، مجلة الثقافة، العدد ٥٠٢، ١٠ من أغسطس ١٩٤٨.
- ٣٨ - د. محمد عوض محمد: فن المقالة الأدبية لماذا يتجاهله مجلس الفنون والآداب، مجلة الهلال، المجلد ٦٧، الجزء ٦، يونيو ١٩٥٩.
- ٣٩ - د. محمد عوض محمد: مكافأة الغدر، مجلة الثقافة، العدد ٥٠٩، ٢٨ من سبتمبر ١٩٤٨.
- ٤٠ - محمد فريد أبو حديد: أهى حرب صليبية؟ مجلة الثقافة، العدد ٥٠٣، ١٧ من أغسطس ١٩٤٨.
- ٤١ - محمود محمد شاكر: ويحكم هُبُوا، مجلة الرسالة، العدد ٧٥٧، ٥ من يناير ١٩٤٨.
- ٤٢ - محمود محمود: المقالة في يد الدكتور أحمد زكي، مجلة الثقافة، العدد ٥٩٤، ١٥ من مايو ١٩٥٠.
- ٤٣ - نقولا الحداد: أين كنا وأين صرنا؟ مجلة الرسالة، العدد ٨٠٤، ٢٩ من نوفمبر ١٩٤٨.
- ٤٤ - نقولا الحداد: أيها العرب اعلّموا أن العالم كله يحاربكم، مجلة الرسالة، العدد ٧٨٧، ٢ من أغسطس ١٩٤٨.
- ٤٥ - نقولا الحداد: أيها العرب ما حكَّ جلدك مثل ظفرك، مجلة الرسالة، العدد ٧٨٨، ٩ من أغسطس ١٩٤٨.
- ٤٦ - نقولا الحداد: سياسة الصهيونيين المالية ونذاتهم، مجلة الرسالة، العدد ٧٧٣، ٢٦ من أبريل ١٩٤٨.
- ٤٧ - نقولا الحداد: الصحافة في الميثاق الصهيوني، مجلة الرسالة، العدد ٧٧٤، ٣ من مايو ١٩٤٨.
- ٤٨ - نقولا الحداد: ضُربت عليهم الذلة والمسكنة، مجلة الرسالة، العدد ٧٨١، ٢١ من يونيو ١٩٤٨.
- ٤٩ - نقولا الحداد: على نفسها جنت براقش، مجلة الرسالة، العدد ٧٦٧، ١٥ من مارس ١٩٤٨.

- ٥٠ - نقولا الحداد: الغيظ المخزن، مجلة الرسالة، العدد ٧٧٦، ١٧ من مايو ١٩٤٨.
- ٥١ - نقولا الحداد: لو أصبح لليهود دولة، مجلة الرسالة، العدد ٧٩٤، ٢٠ من سبتمبر ١٩٤٨.
- ٥٢ - نقولا الحداد: مصرع برنادوت، مجلة الرسالة، العدد ٧٩٦، ٤ من أكتوبر ١٩٤٨.
- ٥٣ - نقولا الحداد: موقف اليهود في مصر، مجلة الرسالة، العدد ٧٥٨، ١٢ من يناير ١٩٤٨.
- ٥٤ - نقولا الحداد: هذا يوم الحساب، التعويضات والغرامات على اليهود، مجلة الرسالة، العدد ٧٨٥، ١٩ من يوليو ١٩٤٨.
- ٥٥ - نقولا الحداد: هؤلاء هم اليهود قديماً وحديثاً وأولاً وآخرًا، مجلة الرسالة، العدد ٧٨٩، ١٦ من أغسطس ١٩٤٨.
- ٥٦ - نقولا الحداد: هل نجح خادم اليهود؟، مجلة الرسالة، العدد ٨٠٣، ٢٢ من نوفمبر ١٩٤٨.
- ٥٧ - نقولا الحداد: اليهودية = الصهيونية = الشيوعية، مجلة الرسالة، العدد ٧٩٩، ٢٥ من أكتوبر ١٩٤٨.
- ٥٨ - وديع فلسطين: بين الصحافة والأدب، مجلة المقتطف، المجلد الخامس عشر بعد المائة، الجزء الرابع، نوفمبر ١٩٤٩.
- ٥٩ - د. يوسف هيكل: التعبئة العامة، مجلة الثقافة، العدد ٥١٦، ١٦ من نوفمبر ١٩٤٨.

ملحق

قائمة ببليوجرافية بالمقالات التى نُشرت عن قضية فلسطين في
المجلات المعنية بالمقالة الأدبية خلال عام ١٩٤٨ - مرتبة زمنياً

مسلسل	اسم الكاتب	عنوان المقالة	المجلة	رقم العدد وتاريخه
١	أحمد حسن الزيات	المسلمون في معترك الخطوب	الرسالة	العدد ٧٥٧، ٥ من يناير ١٩٤٨.
٢	أحمد رمزى	مرحبا بالتقسيم مرحى للصهيونية	الرسالة	العدد ٧٥٧، ٥ من يناير ١٩٤٨.
٣	محمود محمد شاكر	ويحكم هُوباً	الرسالة	العدد ٧٥٧، ٥ من يناير ١٩٤٨.
٤	نقولا الحداد	موقف اليهود في مصر	الرسالة	العدد ٧٥٨، ١٢ من يناير ١٩٤٨.
٥	محمد عبد الله عنان	قرار تقسيم فلسطين بطلانه من الوجهتين الفقهية والدولية	الكتاب	الجزء الثانى من السنة الثالثة، فبراير ١٩٤٨.
٦	نقولا الحداد	تابوت العهد لا يُملك اليهود فلسطين إلا إذا وجدوه	الكتاب	الجزء الثانى من السنة الثالثة، فبراير ١٩٤٨.
٧	أحمد رمزى	فلسطين بين العرب والصهيونية نظرات إيجابية وآراء حرة	الكتاب	الجزء الثانى من السنة الثالثة، فبراير ١٩٤٨.
٨	بلا توقيع	فلسطين الشهيدة	الهلال	الجزء الثانى من المجلد ٥٥، فبراير ١٩٤٨.
٩	عبد المتعال الصعدي	التاريخ يعيد نفسه بين المسلمين واليهود.	الرسالة	العدد ٧٦٤، ٢٣ من فبراير ١٩٤٨.
١٠	محمد عبد الله عنان	قرار التقسيم فى الميزان.	الثقافة	العدد ٤٧٨، ٢٤ من فبراير ١٩٤٨.
١١	شكرى فيصل	الحكومات العربية والشعوب العربية.	الثقافة	العدد ٤٧٨، ٢٤ من فبراير ١٩٤٨.
١٢	د. حسن راشد جرانه	المشكلة الفلسطينية بعد شهرين	الثقافة	العدد ٤٨٠، ٩ من مارس ١٩٤٨.

مسلسل	اسم الكاتب	عنوان المقالة	المجلة	رقم العدد وتاريخه
١٣	د. راشد البراوى	الشرق الأوسط في معتك السياسة الدولية.	الكتاب	الجزء الثالث من السنة الثالثة، مارس ١٩٤٨.
١٤	نقولا الحداد	على نفسها جنت براقش	الرسالة	العدد ٧٦٧، ١٥ من مارس ١٩٤٨.
١٥	د. عبد اللطيف حمزة	المجاهدون الأبرار	الثقافة	العدد ٤٨١، ١٦ من مارس ١٩٤٨.
١٦	عدنان الكيال	اضطهاد اليهود	الثقافة	العدد ٤٨٢، ٢٣ من مارس ١٩٤٨.
١٧	نقولا الحداد	هيئة الأمم تترخ وتتداعى	الرسالة	العدد ٧٦٩، ٢٣ من مارس ١٩٤٨.
١٨	د. أحمد أمين	محنة العالم الإسلامى	الثقافة	العدد ٤٨٣، ٣٠ من مارس ١٩٤٨.
١٩	نقولا الحداد	التلمود واليهود	الرسالة	العدد ٧٧٠، ٥ من أبريل ١٩٤٨.
٢٠	نقولا الحداد	دولة الدول الصهيونية	الرسالة	العدد ٧٧١، ١٢ من أبريل ١٩٤٨.
٢١	بلا توقيع	فلسطين تكافح	الثقافة	العدد ٤٨٥، ١٣ من أبريل ١٩٤٨.
٢٢	نقولا الحداد	المقاصد الصهيونية	الرسالة	العدد ٧٧٢، ١٩ من أبريل ١٩٤٨.
٢٣	د. محمد عوض محمد	فلسطين والسياسة الأمريكية	الثقافة	العدد ٤٨٦، ٢٠ من أبريل ١٩٤٨.
٢٤	نقولا الحداد	سياسة الصهيونية المالية ونذالته	الرسالة	العدد ٧٧٣، ٢٦ من أبريل ١٩٤٨.
٢٥	نقولا الحداد	الصحافة فى الميثاق الصهيونى	الرسالة	العدد ٧٧٤، ٣ من مايو ١٩٤٨.
٢٦	أحمد حسن الزيات	من علامات الساعة	الرسالة	العدد ٧٧٤، ٣ من مايو ١٩٤٨.
٢٧	على محمد سرطاوى	مذبحة الأبرياء فى قرية دير ياسين	الرسالة	العدد ٧٧٥، ١٠ من مايو ١٩٤٨.
٢٨	ياقوت صديق	اليهود	الثقافة	العدد ٤٨٩، ١١ من مايو ١٩٤٨.
٢٩	أحمد حسن الزيات	من هذه القوة فى فلسطين؟	الرسالة	العدد ٧٧٦، ١٧ من مايو ١٩٤٨.

مسلسل	اسم الكاتب	عنوان المقالة	المجلة	رقم العدد وتاريخه
٣٠	نقولا الحداد	الغيط المحزن	الرسالة	العدد ٧٧٦، ١٧ من مايو ١٩٤٨.
٣١	شكري فيصل	عار لا يُمحي	الرسالة	العدد ٧٧٦، ١٧ من مايو ١٩٤٨.
٣٢	حسنى كنعان	القول للسيف	الرسالة	العدد ٧٧٦، ١٧ من مايو ١٩٤٨.
٣٣	بلا توقيع	الحرب في فلسطين	الثقافة	العدد ٤٩٠، ١٨ من مايو ١٩٤٨.
٣٤	د. أحمد أمين	كيف دخلوها وكيف تركوها	الثقافة	العدد ٤٩٠، ١٨ من مايو ١٩٤٨.
٣٥	على رفاعه الأنصاري	منفذ القدس	الثقافة	العدد ٤٩٠، ١٨ من مايو ١٩٤٨.
٣٦	إبراهيم زكي أباطة	معركة العروبة في فلسطين أهدافها ووسائلها	الرسالة	العدد ٧٧٧، ٢٤ من مايو ١٩٤٨.
٣٧	د. محمد عوض محمد	فلسطين والانتخابات الأمريكية	الثقافة	العدد ٤٩١، ٢٥ من مايو ١٩٤٨.
٣٨	أحمد حسن الزيات	لله جيش الفاروق	الرسالة	العدد ٧٧٨، ٣١ من مايو ١٩٤٨.
٣٩	نقولا الحداد	أحرب تنشب أم ثورة تُقمع	الرسالة	العدد ٧٧٨، ٣١ من مايو ١٩٤٨.
٤٠	شكري فيصل	أيها الملك العظيم	الرسالة	العدد ٧٧٨، ٣١ من مايو ١٩٤٨.
٤١	بلا توقيع	فلسطين بين الأعمال الحربية والمناورات السياسية.	الثقافة	العدد ٤٩٢، ١ من يونيو ١٩٤٨.
٤٢	أحمد رمزي	فلسطين بين العرب والصهيونية نظرات إيجابية وآراء حرة	الكتاب	الجزء السادس من السنة الثالثة، يونيو ١٩٤٨.
٤٣	حسنى كنعان	الملقطة	الرسالة	العدد ٧٧٩، ٧ من يونيو ١٩٤٨.
٤٤	د. محمد عوض محمد	بين السلم والحرب	الثقافة	العدد ٤٩٣، ٨ من يونيو ١٩٤٨.
٤٥	بلا توقيع	الهدنة وما بعدها	الثقافة	العدد ٤٩٤، ١٥ من يونيو ١٩٤٨.

مسلسل	اسم الكاتب	عنوان المقالة	الجلد	رقم العدد وتاريخه
٤٦	نقولا الحداد	ضُربت عليهم الذلة والمسكنة الرسالة	العدد ٧٨١، ٢١ من يونيو ١٩٤٨.	
٤٧	د. محمد عوض محمد	بعد وقف القتال الثقافة	العدد ٤٩٥، ٢٢ من يونيو ١٩٤٨.	
٤٨	محمد عبد الله عنان	الخطر الذى نكافحه الثقافة	العدد ٤٩٥، ٢٢ من يونيو ١٩٤٨.	
٤٩	د. أحمد زكى	وسطاء السلام الثقافة	العدد ٤٩٥، ٢٢ من يونيو ١٩٤٨.	
٥٠	نقولا الحداد	وارسو نقطة ارتباط بين موسكو وتل أبيب	العدد ٧٨٢، ٢٨ من يونيو ١٩٤٨.	
٥١	أحمد رمزى	آثار الملوك والسلاطين المصريين بمدىنتى القدس والخليل	العدد ٧٨٢، ٢٨ من يونيو ١٩٤٨.	
٥٢	بشير صادق	من رسائل الجبهة	الثقافة العدد ٤٩٦، ٢٩ من يونيو ١٩٤٨.	
٥٣	ف	إلى فلسطين	الأزهر المجلد التاسع عشر، يوليو ١٩٤٨.	
٥٤	محمد فريد وجدى	الحرب والسلام	الأزهر المجلد التاسع عشر، يوليو ١٩٤٨.	
٥٥	د. محمد عوض محمد	فلسطين قلب العالم العربى	الهلال المجلد ٥٦، الجزء ٧، يوليو ١٩٤٨.	
٥٦	د. أحمد أمين	لو عاد موسى وعيسى ومحمد	الهلال المجلد ٥٦، الجزء ٧، يوليو ١٩٤٨.	
٥٧	حبيب جاماتى	مواكب الشهداء	الهلال المجلد ٥٦، الجزء ٧، يوليو ١٩٤٨.	
٥٨	أمينة السعيد	فلسطين والمرأة العربية	الهلال المجلد ٥٦، الجزء ٧، يوليو ١٩٤٨.	
٥٩	بلا توقيع	الهجرة اليهودية فى ربع قرن	الهلال المجلد ٥٦، الجزء ٧، يوليو ١٩٤٨.	
٦٠	أ. ب	اليهود مضطهدون فى كل مكان لماذا؟	الهلال المجلد ٥٦، الجزء ٧، يوليو ١٩٤٨.	
٦١	بلا توقيع	الصهيونية فى سطور	الهلال المجلد ٥٦، الجزء ٧، يوليو ١٩٤٨.	

مسلسل	اسم الكاتب	عنوان المقالة	المجلة	رقم العدد وتاريخه
٦٢	عبد الرحمن زكى	هذا تاريخهم.	الكتاب	الجزء السابع من السنة الثالثة، يوليو ١٩٤٨.
٦٣	محمد شفيق غربال	حروب مصر في فلسطين	الكتاب	الجزء السابع من السنة الثالثة، يوليو ١٩٤٨.
٦٤	نقولا الحداد	حُجة خيط العنكبوت وقد فات أوانها	الرسالة	العدد ٧٨٣، ٥ من يوليو ١٩٤٨.
٦٥	حسن جلال	خطبة منبرية	الثقافة	العدد ٤٩٧، ٦ من يوليو ١٩٤٨.
٦٦	على العمارى	من سجايا اليهود نقض العهود	الرسالة	العدد ٧٨٤، ١٣ من يوليو ١٩٤٨.
٦٧	أحمد حسن الزيات	أدبنا وهذه الحرب	الرسالة	العدد ٧٨٤، ١٣ من يوليو ١٩٤٨.
٦٨	عباس محمود العقاد	قضية مكسوبة	الرسالة	العدد ٧٨٥، ١٩ من يوليو ١٩٤٨.
٦٩	نقولا الحداد	هذا يوم الحساب، التعويضات والغرامات على اليهود.	الرسالة	العدد ٧٨٥، ١٩ من يوليو ١٩٤٨.
٧٠	محمد أسامة عليية	من أهداف الصهيونية	الرسالة	العدد ٧٨٥، ١٩ من يوليو ١٩٤٨.
٧١	د. عبد الوهاب عزام	الفريقان المتحاربان في فلسطين الحق والباطل.	الرسالة	العدد ٧٨٦، ٢٦ من يوليو ١٩٤٨.
٧٢	نجاتي صدق	معركة صبيان.	الرسالة	العدد ٧٨٦، ٢٦ من يوليو ١٩٤٨.
٧٣	د. أحمد أمين	ماذا استفدنا من حرب فلسطين؟	الثقافة	العدد ٥٠٠، ٢٧ من يوليو ١٩٤٨.
٧٤	نقولا الحداد	أيها العرب اعلموا أن العالم كله يحاربكم	الرسالة	العدد ٧٨٧، ٢ من أغسطس ١٩٤٨.
٧٥	نجاتي صدق	حياة بلا بسى	الرسالة	العدد ٧٨٧، ٢ من أغسطس ١٩٤٨.
٧٦	بلا توقيع	ما أفدناه وتعلمناه من الحرب في فلسطين	الثقافة	العدد ٥٠١، ٣ من أغسطس ١٩٤٨.
٧٧	د. عبد الوهاب عزام	الفريقان المتحاربان في فلسطين الكرم واللؤم	الرسالة	العدد ٧٨٨، ٩ من أغسطس ١٩٤٨.

مسلسل	اسم الكاتب	عنوان المقالة	المجلة	رقم العدد وتاريخه
٧٨	نقولا الحداد	أيها العرب ماحكٌ جلدك مثل ظفرك	الرسالة	العدد ٧٨٨ ، ٩ من أغسطس ١٩٤٨ .
٧٩	د. محمد عوض محمد	عبد بآية حال عدت	الثقافة	العدد ٥٠٢ ، ١٠ من أغسطس ١٩٤٨ .
٨٠	محمد فريد أبو حديد	الرصاصه الأولى	الثقافة	العدد ٥٠٢ ، ١٠ من أغسطس ١٩٤٨ .
٨١	على رفاعه الأنصارى	مركب النقص عند اليهود	الثقافة	العدد ٥٠٢ ، ١٠ من أغسطس ١٩٤٨ .
٨٢	نقولا الحداد	هؤلاء هم اليهود قديما وحديثا الرسالة وأولا وآخرها.	الرسالة	العدد ٧٨٩ ، ١٦ من أغسطس ١٩٤٨ .
٨٣	محمد فريد أبو حديد	أهى حرب صليبية؟	الثقافة	العدد ٥٠٣ ، ١٧ من أغسطس ١٩٤٨ .
٨٤	نقولا الحداد	يهوه على الأرض	الرسالة	العدد ٧٩٠ ، ٢٣ من أغسطس ١٩٤٨ .
٨٥	عمر الخطيب	مكر يهود	الرسالة	العدد ٧٩٠ ، ٢٣ من أغسطس ١٩٤٨ .
٨٦	بلا توقيع	ماذا نسى الصهيونيون ؟	الثقافة	العدد ٥٠٤ ، ٢٤ من أغسطس ١٩٤٨ .
٨٧	بشير صادق	من رسائل الجبهة	الثقافة	العدد ٥٠٤ ، ٢٤ من أغسطس ١٩٤٨ .
٨٨	نقولا الحداد	فصيلة المخلوقات الخبيثة	الرسالة	العدد ٧٩١ ، ٣٠ من أغسطس ١٩٤٨ .
٨٩	نقولا الحداد	أنقدوا اللاجئيين أولا	الرسالة	العدد ٧٩٢ ، ٦ من سبتمبر ١٩٤٨ .
٩٠	محمد عبد الله عنان	الجمعية العمومية للأمم المتحدة	الثقافة	العدد ٥٠٦ ، ٧ من سبتمبر ١٩٤٨ .
٩١	أحمد حسن الزيات	مالئ لا أكتب	الرسالة	العدد ٧٩٣ ، ١٣ من سبتمبر ١٩٤٨ .
٩٢	نقولا الحداد	لو أصبح لليهود دولة	الرسالة	العدد ٧٩٤ ، ٢٠ من سبتمبر ١٩٤٨ .
٩٣	ف	طعنة في صدر الإنسانية	الثقافة	العدد ٥٠٨ ، ٢١ من سبتمبر ١٩٤٨ .
٩٤	حسن لطفى المنفلوطى	يهود العالم	الثقافة	العدد ٥٠٨ ، ٢١ من سبتمبر ١٩٤٨ .

مسلسل	اسم الكاتب	عنوان المقالة	المجلة	رقم العدد وتاريخه
٩٥	عمر عودة الخطيب	غدر يهود	الرسالة	العدد ٧٩٥، ٢٧ من سبتمبر ١٩٤٨.
٩٦	د. محمد عوض محمد	مكافأة الغدر	الثقافة	العدد ٥٠٩، ٢٨ من سبتمبر ١٩٤٨.
٩٧	إبراهيم جمال الدين الرماوى	اليهود في بلاد العرب قبل الإسلام	الثقافة	العدد ٥٠٩، ٢٨ من سبتمبر ١٩٤٨.
٩٨	عباس محمود العقاد	إلى ساسة الأمم المتحدة	الكتاب	الجزء الثامن من السنة الثالثة، أكتوبر ١٩٤٨.
٩٩	نقولا الحداد	مصرع برنادوت	الرسالة	العدد ٧٩٦، ٤ من أكتوبر سنة ١٩٤٨.
١٠٠	شحاتة آدم محمد	حول القتال في فلسطين	الثقافة	العدد ٥١٠، ٥ من أكتوبر ١٩٤٨.
١٠١	أحمد حسن الزيات	حُكم من أحكام الله	الرسالة	العدد ٧٩٧، ١١ من أكتوبر ١٩٤٨.
١٠٢	د. محمد عوض محمد	حكومة فلسطين العربية	الثقافة	العدد ٥١١، ١٢ من أكتوبر ١٩٤٨.
١٠٣	نقولا الحداد	تشبه وشفاعة	الرسالة	العدد ٧٩٨، ١٨ من أكتوبر ١٩٤٨.
١٠٤	صحى إبراهيم الصالح	لك الله أيها العربى	الرسالة	العدد ٧٩٨، ١٨ من أكتوبر ١٩٤٨.
١٠٥	نقولا الحداد	اليهودية = الصهيونية = الشيوعية.	الرسالة	العدد ٧٩٩، ٢٥ من أكتوبر ١٩٤٨.
١٠٦	بلا توقيع	الشعب المدلل	الثقافة	العدد ٥١٣، ٢٦ من أكتوبر ١٩٤٨.
١٠٧	بلا توقيع	الشدائد تصهر الأمم	الثقافة	العدد ٥١٥، ٩ من نوفمبر ١٩٤٨.
١٠٨	د. يوسف هيكمل	التعبئة العامة	الثقافة	العدد ٥١٦، ١٦ من نوفمبر ١٩٤٨.
١٠٩	نقولا الحداد	هل نجح خادم اليهود؟	الرسالة	العدد ٨٠٣، ٢٢ من نوفمبر ١٩٤٨.
١١٠	أحمد حسن الزيات	مَثَلُ المهذبين من بنى آدم	الرسالة	العدد ٨٠٤، ٢٩ من نوفمبر ١٩٤٨.
١١١	نقولا الحداد	أين كنا وأين صرنا؟	الرسالة	العدد ٨٠٤، ٢٩ من نوفمبر ١٩٤٨.

مسلسل	اسم الكاتب	عنوان المقالة	المجلة	رقم العدد وتاريخه
١١٢	بلا توقيع	خصوم العرب	الثقافة	العدد ٥١٨ ، ٣٠ من نوفمبر ١٩٤٨ .
١١٣	عمر حليق	الصهيونية هي الخطر الأول في حاضر الشرق العربي ومستقبله	الرسالة	العدد ٨٠٦ ، ١٣ من ديسمبر ١٩٤٨ .
١١٤	عبد المنعم خلاف	حديث إلى العرب	الرسالة	العدد ٨٠٦ ، ١٣ من ديسمبر ١٩٤٨ .

المحتويات

الصفحة

٥

مقدمة

القسم الأول

المقالة الأدبية

٩

خصائص المقالة الأدبية :

(عرض ومناقشة لتعريفات للمقالة الأدبية وتعريفات بها لكل من
د . محمد يوسف نجم وسيد قطب ود . زكي نجيب محمود ، وعباس
العقاد ، وعمر الدسوقي — بيان خصائص المقالة الأدبية)

١٨

صفات كاتب المقالة الأدبية:

(موقف كاتب المقالة الأدبية من مظاهر الحياة—العلاقة بين كاتب
المقالة والقارئ— محاولة للتمييز بين كُتّاب المقالة— موقف كاتب
المقالة من اقتباس الأفكار— الصفات التي ينبغي توافرها في الكاتب
الجيد للمقالة الأدبية)

٢٥

المقالة الأدبية والتراث العربي:

(نشأة المقالة الأدبية الحديثة في الغرب— صلة المقالة الأدبية
الحديثة بالتراث العربي— أربعة نماذج من التراث العربي) .

٣٣

المظاهر الفارقة بين المقالة الأدبية والمقالات الأخرى:

(سمات المقالة الصحفية والموازنة بينها وبين المقالة الأدبية—
مقومات المقالة العلمية والموازنة بينها وبين المقالة الأدبية— صعوبة
الفصل الدقيق بين أنواع المقالات— كيفية قراءة المقالة الأدبية قراءة
واعية بهدف تقويمها) .

المقالة الأدبية وفنون الأدب الأخرى:

(مكانة النثر الأدبي - المقالة الأدبية والشعر - المقالة الأدبية
والقصة - المقالة الأدبية والمقامة - المقالة الأدبية والتراجم - المقالة
الأدبية والخطابة - المقالة الأدبية والمسرحية - المقالة الأدبية والخطابة)

الموضوع في المقالة:

(فكرة الموضوع ومجالاته - الموضوعات الجدية والموضوعات
الفكاهية - أهمية اختيار الموضوع وعناصر نجاحه) .

الأسلوب في المقالة:

(أسلوب الكاتب وخصائصه - تميز أسلوب المقالة الأدبية - صفات
ثلاث للأسلوب الجيد في المقالة الأدبية - التمييز بين الأساليب -
دراسات حديثة في علم الأسلوب - افتقار كثير من المقالات الحديثة
لمقومات الأسلوب الجيد) .

تنظيم المقالة من حيث الشكل إلى المقدمة والموضوع والخاتمة:

(خضوع التقسيم لنزعة الكاتب - خصائص المقدمة - خصائص
الموضوع - خصائص الخاتمة) .

المقالة الذاتية والمقالة الموضوعية:

(سمات المقالة الذاتية - سمات المقالة الموضوعية - الجمع بين
الذاتية والموضوعية في المقالة) .

عنوان المقالة:

(أهمية اختيار العنوان - ألوان من العناوين - نماذج من العناوين
الجدابة) .

بين المقالة الأدبية والصحافة:

(تأثير الصحافة في المقالة - تأثير المقالة في الصحافة)

القسم الثاني

وظيفة المقالة الأدبية في العصر الحديث

٦٣

(مكانة المقالة بين الفنون الأدبية - المعارك الأدبية والمقالة - سبق المقالة الأدبية للشعر في عرض القضايا الوطنية والمشكلات الاجتماعية - دور المقالة الأدبية في تقديم الأدباء وتنشيط الحركة الأدبية والفكرية)

مثال تطبيقي لوظيفة المقالة الأدبية في العصر الحديث:

- ٦٩ المقالة الأدبية وقضية فلسطين في عام ١٩٤٨
- الجوانب التي عالجتها المقالة الأدبية في القضية:—
- ٦٩ ١ — بيان جانب الدين من القضية .
 - ٧١ ٢ — إظهار المشاعر العربية نحو النكبة .
 - ٧٢ ٣ — بيان صفات الصهيونيين .
 - ٧٤ ٤ — التحذير من خطر الصهيونية على العروبة والإسلام .
 - ٧٧ ٥ — مناقشة حجة اضطهاد اليهود وتفنيدها .
 - ٧٨ ٦ — إثارة موضوع اليهود المقيمين بالبلاد العربية .
 - ٧ — شرح مأساة اللاجئين الفلسطينيين وتقديم حل عملي سريع لهم .
 - ٧٩ ٨ — استثارة النخوة العربية .
 - ٨٠ ٩ — تأكيد حق العرب في قضيتهم وموازنته بباطل اليهود .
 - ٨١ ١٠ — تبصير العرب بموقف هيئة الأمم المتحدة من القضية والتنديد بهذا الموقف .
 - ٨٢ ١١ — كشف سياسة الإنجليز الخادعة للعرب .
 - ٨٤ ١٢ — رصد تطورات القضية .
 - ٨٥ ١٣ — تنبيه العرب لسياسة الأمر الواقع التي أفاد منها اليهود .
 - ٨٦ ١٤ — تحية شهداء فلسطين .
 - ٨٧ ١٥ — دعوة العرب إلى الثقة بالنفس .

- ٨٨ ١٦ — شرح لواجبات العرب نحو قضيتهم .
- ٩٢ (غاذج كاملة للمقالة الأدبية في قضية فلسطين عام ١٩٤٨)
- ٩٢ ١ — مقالة بعنوان (من علامات الساعة) لأحمد حسن الزيات .
- ٩٤ التعليق عليها
- ٩٥ ٢ — مقالة بعنوان (قضية مكسوبة) لعباس محمود العقاد
- ٩٨ التعليق عليها
- ٣ — مقالة بعنوان (ماذا استفدنا من حرب فلسطين؟) للدكتور أحمد أمين
- ١٠٠ التعليق عليها
- ١٠٢ ٤ — مقالة بعنوان (أهى حرب صليبية؟) لمحمد فريد أبو حديد
- ١٠٤ التعليق عليها
- ١٠٨
- ١١٠ **تقويم**
- أداء الأدب المقالى لوظيفته نحو قضية فلسطين في عدة مظاهر - دور
- المقالين في القضية - موقف المجلات الأدبية من القضية
- ١١٤ المصادر والمراجع
- ملحق (قائمة ببلوغرافية بالمقالات التى نُشرت عن قضية فلسطين في
- المجلات المعنية بالمقالة الأدبية خلال عام ١٩٤٨ - مرتبة زمنيا)
- ١٢١

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

